المجلس الأعلى للثقافة

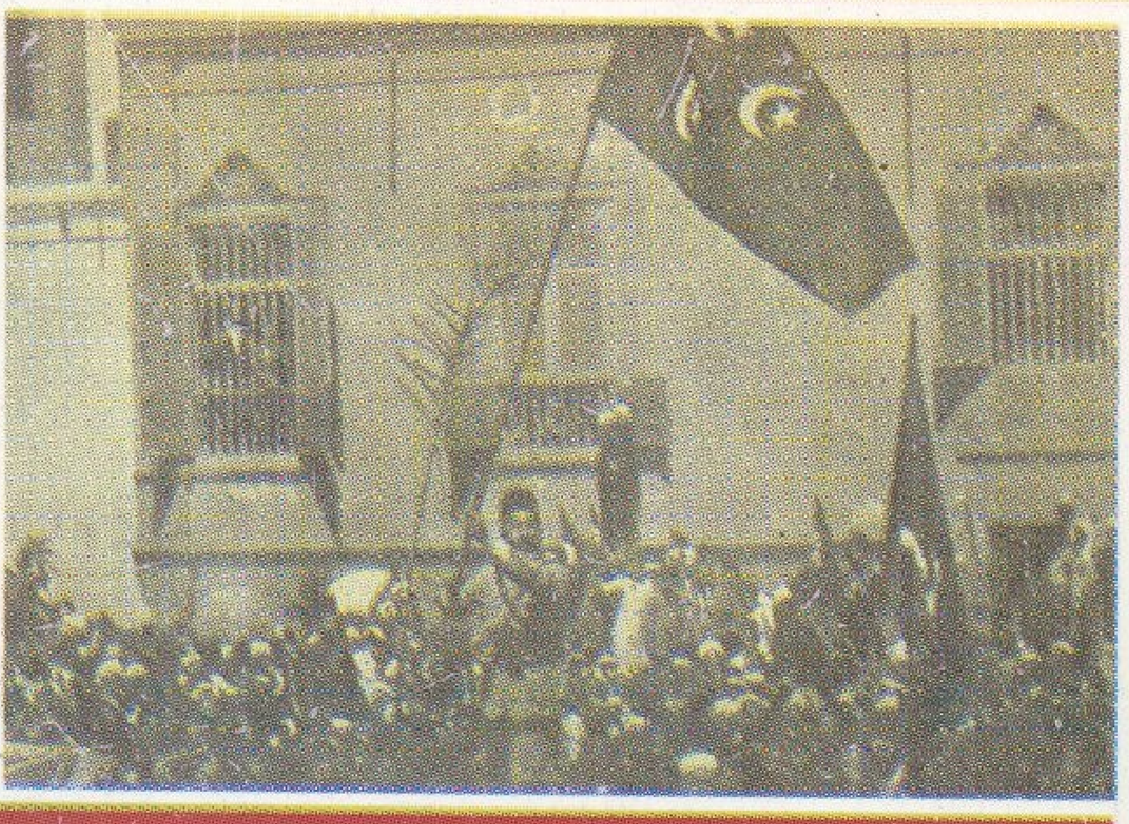
المشروع القومي للترجمة

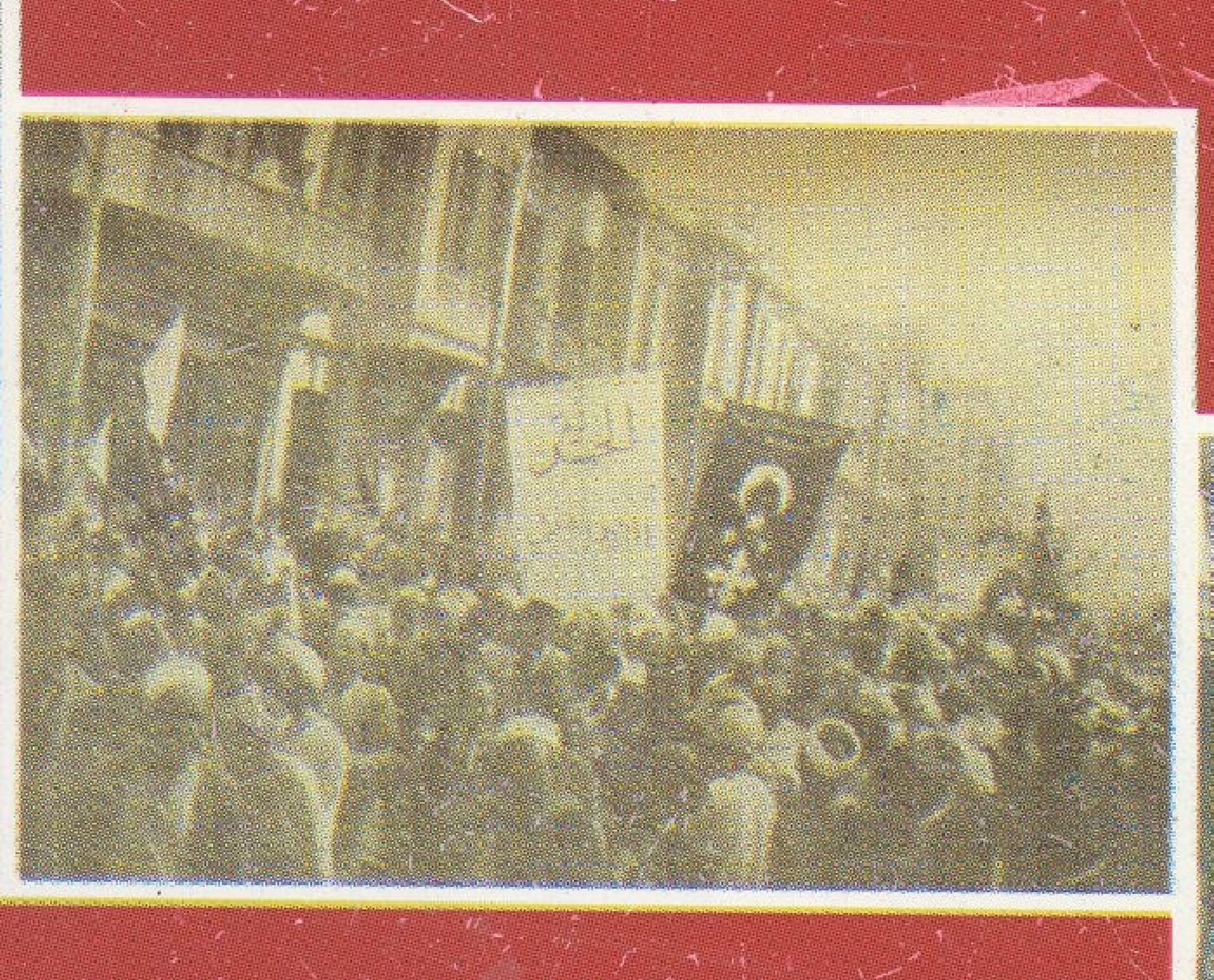
الثورة المصرية

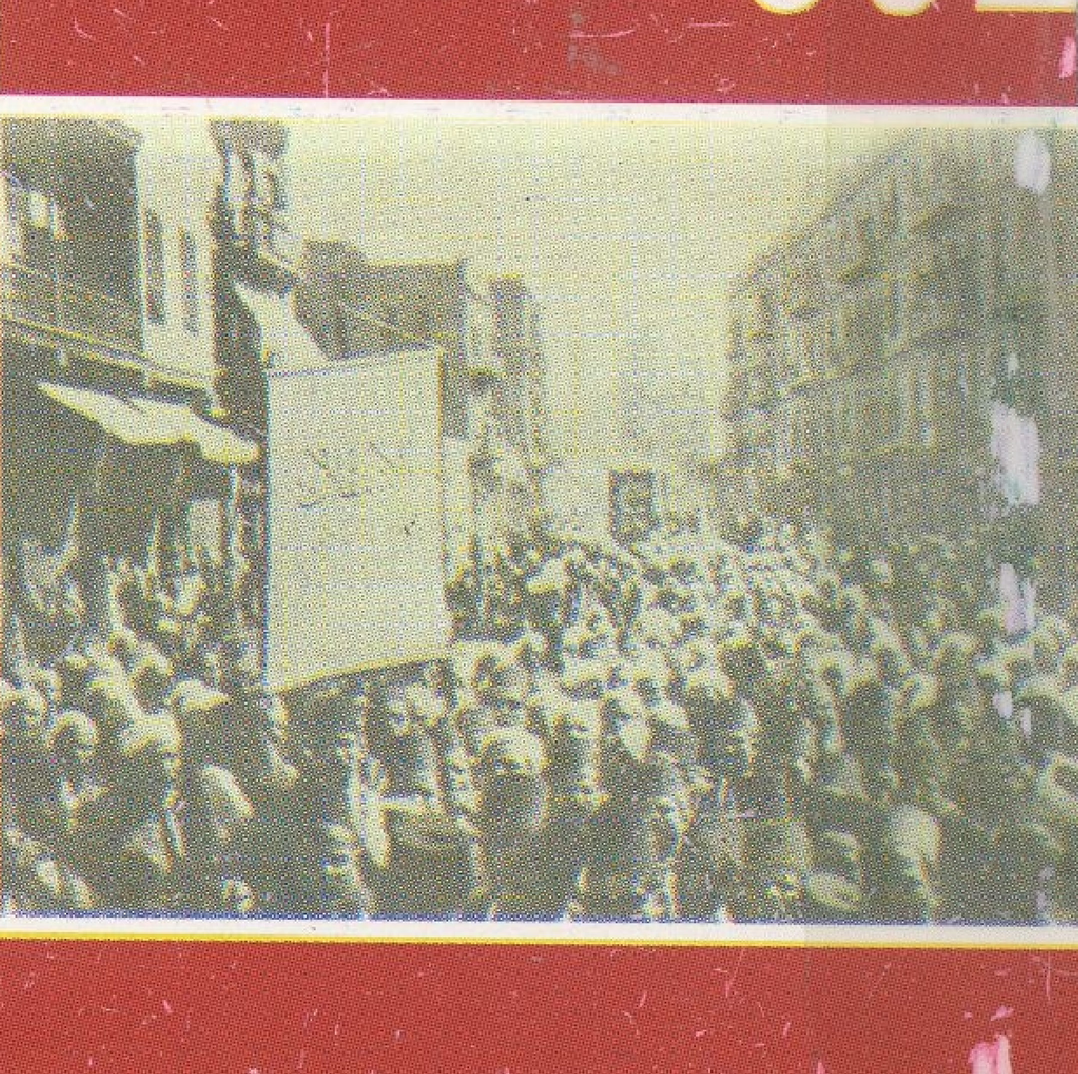
من خلال وثائق حقيقية وصور التقطت أثناء الثورة

تأليف : محمد صبرى السوربونى

ترجمة : مجدى عبد الحافظ
على كورخان







592

الجزء الأول

المشروع القومى للترجمة

الثورة المصرية

من خلال وثائق حقيقية وصور التقطت أثناء الثورة

(الجزء الأول)

تأليف : محمد صبرى السوربونى

ترجمة : مجدى عبد الحافظ

وعلى كورخان

المجلس الأعلى للثقافة

٢٠٠٣

المشروع القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد ٥٩٢
- الثورة المصرية
من خلال وثائق حقيقية وصور التقطت أثناء الثورة
- محمد صبرى السوربونى
- مجدى عبد الحافظ
وعلى كورخان
- الطبعة الأولى ٢٠٠٣

هذه ترجمة كاملة لكتاب:

La Révolution Egyptienne

تأليف: M. Sabry

الصادر عـــن:

Librairie J. Vrin, 6, Place de la Sorbonne
Paris Ve 1919

شارع الجبلاية بالأوبرا ــ الجزيرة ــ القاهرة ت: ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٧٣٥٨٠٨٤

EL Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo

TEL: 7352396   Fax: 7358084

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة.

المحتويات

تصدير المترجمَيْن

يسعدنا أن نقدم لقُرّاء العربية ــ ولأول مرة ــ ترجمة الجــزء الأول من كتاب «الثورة المصرية» لصبرى السوربونى، الذى كتبه بالفرنسية وما زالت أحداث ثورة (١٩١٩) مشتعلة لم يخمد أوارها بعد. كان صــبرى مــا زال يعيش فى باريس وقد أنهى دراسته للتاريخ، حيث حصل على ليســانس الآداب فى التاريخ الحديث.

وكان شغوفا بما يحدث فى مصر، يجمع ما يكتب عنها فى الصــحف والمجلات وبكل اللغات. لقد درس فى السوربون منذ وقت ليس ببعيد الثورة الفرنسية على يد أستاذه العلامة أولار Aulard. كانت أحداث هــذه الثــورة وتفاصيلها ما زالت عالقة فى ذهنه الشاب. حاول أن يربط بين ما يستقيه من أخبار عن مصر وما احتفظ به من دروس الثورة الفرنسية، وما أكثــر مــا تشابه فى ذهنه الغض، فقد أراد بحسه الوطنى أن يؤوّل ويقرب بين الحدثين الكبيرين، إذ عاين أثناء وجوده فى الغرب أن مصر دولة عريقة لها مــاضٍ وحضارة ينحنى لها الجميع، وجد هذا الاهتمام لدى الفرنسيين الذين وُلعــوا بهذه الحضارة فأخذوا يقلدون بعض تيماتها على مبــانيهم، ويزينــون بهــا ديكوراتهم. كانت فرنسا فى تلك الآونة تهيم ولعا بمصر بحيث أصبح هــذا الولع Egyptomania موضة هذا الزمان. فلِمَ لا تكون أحداث مصــر آنــذاك امتدادًا لتلك الصحوة التى كانت؟

كان عقل السوربونى الشاب يزدحم بهذه الأفكــار، إلا أن مــا دفعــه وحفزه إلى البدء فى تحرير كتابه هذا هو ما دار بينه وبين قائد الثورة ســعد زغلول الذى حضر لباريس فى الحادى عشر من أبريل ســنة (١٩١٩) على رأس الوفد المصرى لعرض القضية المصرية على مؤتمر الصــلح، حيــث اقترب كثيرا من الوفد، بل وعمل سكرتيرا له، ويقول السوربونى نفسه عــن

ذلك: «لقد قلت لسعد زغلول سنة (١٩١٩) وأنا سكرتير صغير له: إذا كنت تريد للثورة أن تستمر فلابد، قبل السلاح أو الحماسة، أن تكتب تاريخ مصر. وفهمها سعد ولم يسخر ولكنه قال لى: ما تكتبه يافالح حاكتبه أنا».

الجمهورية. ١٩٦٤/٩/٢٠

نقلا عن أحمد حسين الطماوى، صبرى السوربونى،

«أعلام العرب»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص ٥٥

ويرى الطماوى أن الكلمات السابقة لزعيم الأمة كانت لدى السوربونى هى الحافز الدافع على كتابة تاريخ بلاده، بل ويعزو إليها تأليفه لكتابنا هذا. وهو يكشف عن الأهمية القصوى لهذا الكتاب عندما يُرجع إليه الفضل فى كشف حقيقة الوضع فى مصر، وتفاصيل الأحداث إلى الأوربيين مستخدما لأول مرة تعبير الثورة لوصف ما يجرى على عكس ما كان يقدم فى الصحافة الأوربية أو الصحف المصرية العميلة. كما يرى أيضا فى نشره لصور الفظائع التى اقترفها الإنجليز بحق الوطنيين المصريين، ومظاهر الكفاح والوحدة الوطنية لمختلف الطوائف، رجال الدين والشهداء تأكيدا لأقواله وفضحا لمزاعم الإنجليز. وهو فى الوقت نفسه يبرز دور الشعب فى اندلاع الثورة، أكثر من هذا يسوق لنا الطماوى حدثا يدل على أهمية هذا الكتاب فى أوربا عن الإضراب الكبير للصحف فى فرنسا سنة (١٩١٩)، وظهور صحف اليمين فى جريدة واحدة، وصحف اليسار فى جريدة أخرى: يكتب الجنرال فيرو عن كتاب صبرى هذا فى افتتاحية الجريدة التى جمعت صحف اليسار، وهو ما يعطى إشارة إلى أهمية الكتاب، واستقبال الأوساط الفرنسية له.

إلا أننا نجزم أن الطماوى نفسه لم يطلع على كتاب صبرى عن الثورة، حيث يخبرنا بأن الكتاب قد صودر فى مصر ثلاث مرات: «لأنه قال فيه عن الملك فؤاد أنه ملك لا شعبية له». والكتاب، كما سيرى القارئ، يخلو

من هذا على الإطلاق، وإذا كان بالفعل قد صودر فربما لأنه وصف الفظائع التى ارتكبها الإنجليز فى مصر، وكانوا مازالوا مركز القرار فى البلاد ويسوؤهم أن يتناقل هذا عنهم، وربما سمع الباحث بالزعم السابق، فساقه دون أن يتأكد منه، ورغم أن غلاف الكتاب كان قد نُشر فى الكتاب سالف الذكر سنة (١٩٨٦)، إلا أن أحدا من المتخصصين فى التاريخ الحديث لم يكن قد اطلع عليه أو عرف به، ولعل هذا يعود إلى أن الكتاب لم يكن متاحًا فى أية مكتبة بالقاهرة أو غيرها، وتشاء الصدفة أن تعثر على الكتاب د. كارولين كورخان رئيسة قسم التراث الثقافى بجامعة سنجور الفرنكفونية بالإسكندرية فى إحدى المكتبات بجزيرة كورسيكا، وباعتبارها مولعة بجمع كل ما كُتب عن مصر فى القرن التاسع عشر بالفرنسية، عرفت أهمية الكتاب واقتنته على الفور، ولم تمانع عندما طلبنا منها الحصول على صورة منه لنقوم بترجمته، بل رحبت بذلك كل الترحيب، فإليها كل الشكر والتقدير.

وتكمن أهمية الكتاب إضافة إلى الصور الفوتوغرافية، فى هذا الحشد الهائل من المعلومات واليوميات الخاصة بأحداث ثورة (١٩١٩)، وهذا الحس الوطنى العالى الذى صيغ به الكتاب، إضافة إلى إبرازه لأول مرة فى الغرب أن الشعب المصرى بطوائفه العرقية والدينية والمهنية قد اختار الاستقلال سبيلا ليعيش أمة ناهضة مثل كل الأمم الحية فى العالم، وأنه يملك كل المقومات التى تؤهله للوصول لهذا الهدف النبيل، والملاحظ على لغة الكتاب (الفرنسية) أنها تميزت بالغنى والثراء الشديدين، ومع هذا فقد كان ينتقل كثيرا من لغة أدبية رفيعة إلى لغة عامية دارجة حسب طبيعة الموضوعات التى كان بصدد معالجتها، ولعل الانتقال فى مصادره من أسلوب ومنهج المؤرخ الرصين إلى أسلوب ومنهج الجرائد السيارة التى تدرجت مستويات اللغة فيها، تبعا لطبيعة لغتها الأصلية وجنسيتها (عربية وإنجليزية وفرنسية)، مما حمله على القيام غالبا بترجمتها إلى الفرنسية (لغة كتابة)، ساعد هذا فى تعدد مستويات أسلوب لغة الكتاب. ولقد لجأنا كثيرا إلى قاموس اللغة الفرنسية فى

القرن التاسع عشر، واستفدنا بقدر كبير فى اللجوء إلى بعض كبار السن للاستفسار عن بعض التفاصيل التى أتاحت لنا فهم كثير مما غمض علينا من بعض التسميات والمعايير المستخدمة آنذاك، كما حاولنا الحفاظ على أن نكتب الأسماء كما تنطق، وللتسهيل على الباحثين حافظنا أيضا، إضافة إلى ذلك، على كتابة أسماء الأعلام بالحروف اللاتينية.

ولا ننسى التوجه بشكرنا وتقديرنا إلى شاعرنا الصديق د. حسن طلب الذى أعاد صياغة ترجمتنا للرباعيات التى تغنى بها الشعب المصرى أثناء الثورة، وقد بحثنا عن أصلها العربى فى كل مكان ولدى المهتمين والمتخصصين دون جدوى، وما كان إلا أن تطوع د. حسن طلب مشكورًا بهذا العمل. كما لا يفوتنا أن نسجل التقدير والشكر والنصائح والملاحظات والمراجعات المهمة التى قام بها صديقنا العزيز أ.د. حسين عبد القادر على النص المترجم، كما نتقدم بخالص الشكر للزميل الدكتور يحيى محمد محمود لمراجعته التاريخية للنص.

ونأمل أن يجد القارئ فى عملنا هذا إضافة حقيقية إلى المكتبة التاريخية العربية لما كان ينبغى أن يُترجم من نصوص مهمة ولا غنى عنها عن تاريخنا الوطنى، ما زالت مجهولة لنا حتى الآن. وننوه بأن المترجمين قد حصلا بالفعل على الجزء الثانى من كتاب صبرى هذا «الثورة المصرية» ونشكر فى هذا جهد كل من د. عماد أبو غازى، ود. أحمد ذكريا الشلق اللذين لفتا انتباهنا إلى وجود الجزء الثانى من الكتاب بمكتبة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ولم نكن نعلم من الأصل وجود جزء ثان له. وسنقوم بالبدء فورا فى ترجمته ليكون بين يدى القارئ فى القريب.

تقديم

دراسة بقلم مجدى عبد الحافظ

لم يكن كتاب «الثورة المصرية» الذى كتبه صبرى السوربونى سنة (١٩١٩) مقدرًا له أن يتوجه إلى القارئ المصرى، لذا ربما يجد هذا القارئ بعض الصعوبات من جراء ذلك. حيث حرص السوربونى أن يقدم مادة كتابه للقارئ الفرنسى بطريقة يتفهمها، بل ودفعته إلى التعاطف مع قضيته الوطنية. فى تصورى لم يكن هذا الكتاب كتابًا يعرض لموضوع تاريخى بصورة كلاسيكية منهجية، فالموضوع بدا للسوربونى أخطر من هذا. إذ كان يود أن يسمع الرأى العام فى أوربا ما يحدث فى بلاده بصورة حقيقية، ودون تزييف مما دأبت أجهزة الإعلام البريطانية على ترويجه آنذاك بأوربا، من أن ما يحدث فى مصر مجرد اضطرابات يقوم بها بعض دعاة الفتنة من العاطلين والمهيجين. لم تكن الساعة بالنسبة له هى ساعة التاريخ الأكاديمى الذى تابع لتوه دروسه فى السوربون، كما أن الليسانس الذى حصل عليه فى العام نفسه لم يكن يتيح له أن يمسك بكل قواعد المنهج التى سيطر عليها فيما بعد فى أثناء إعداد رسالته للدكتوراه، ومن هنا فما جاء بمقدمة أستاذه أولار من أن السوربونى لم ينسَ دروس التاريخ التى تلقاها بالسوربون عندما بحث عن «وثائقه بعناية ولم يؤكد شيئًا إلا بقرينة» ليست إلا نوعًا من المجاملة من أستاذ لتلميذه، ولعل عبارة المجاملة السابقة هى الوحيدة التى تحدث فيها أستاذه عن هذا الموضوع فى مقدمته.

كتاب الثورة المصرية إذن لم يكن كتابا مدرسيا، ولكنه كان كتابا يحمل رسالة وطنية حاول صاحبه القيام بها فى وقت حرج، وهو الوقت الذى اندلعت فيه الثورة ولم يخمد أوارها بعد. ومن ثم تصبح المهمة الأساسية التى يمكن أن يضطلع بها ليؤثر على الرأى العام فى أوربا بشكل عام، والرأى

العام الفرنسي بشكل خاص، هو أن يبذل جهدا في تقريب ما يحدث في مصر مع قيم الثورة الفرنسية، وقيم الثقافة الفرنسية بشكل عام حتى يكسب التعاطف لقضية بلاده، ومن هنا لم يكن حرصه على أن يكتب أستاذه أولار (أستاذ الثورة الفرنسية بالسوربون) مقدمة كتابه دون معنى، ولكنه اختار أولار بالذات لأنه الوحيد الذى يمكن أن يضفى على كتابه مشروعية علمية وسياسية بحكم تخصصه، فالفرنسيون ــ كما هو معروف ــ يثقون بالمتخصصين ويحترمونهم، ونجاحه في مهمته ارتبط بهذا التقديم الذى كان يحرص عليه، ونفهم هذا من مذكراته عندما يعلق على زيارته لأولار عندما ذهب ليعطيه الجزء الثانى من كتاب الثورة المصرية منسوخا، ووعده أولار بأن يكتب كلمة فيعلق السوربونى «اللهم استمع إنك سميع الدعاء» وهو ما يبين حرصه على المشروعية التى ستمنحها له كلمة أولار في مقدمة كتابه.

وهذه المشروعية الخارجية تجاه الفرنسيين والتى سيمنحها له أولار بكلمته، حرص على أن يوازنها فيما بعد لدى أبناء جلدته بمشروعية داخلية أخرى يمنحها له زعيم الأمة سعد زغلول. وهو ما كان يحلو له ترديده. عندما طلب من سعد كتابة تاريخ مصر، ورد سعد عليه بأن «ما تكتبه يا فالح حاكتبه أنا». وهو ما يعطى انطباعًا بأنه قد فُوِّض من قبل زعيم الأمة في كتابة هذا التاريخ الذى قدمه من جزأين، لأنه في حقيقة الأمر عبارة سعد زغلول لا تعنى هنا شيئًا كبيرًا يمكن أن نستنتج منه ما استنتجه السوربونى، ولكن تأويل السوربونى لها هو الذى أعطاها ما فهمه منها.

إلا أن هذا يجعلنا نفهم الآلية التى يفكر ويعمل بها السوربوني، وهى الحصول على مصداقية ما يعمل من خلالها، وعندما قرر التوجه لمخاطبة الجمهور الفرنسي لكسب تعاطفه لقضية بلاده لم يحد عن أفكاره.

والسوربونى نفسه لم يكن غريبا عن المجتمع الفرنسى الذى عاش فيه، وتربطه به صلات كبيرة، وهو ما عرفناه من خلال ما كتبه محمد كامل سليم

في مذكراته عن سعد زغلول وجاء عرضا ذكر صبرى السوربونى عندما قال الكاتب لسعد باشا «إننا فى حاجة إلى آخرين مثل الدكتور صبرى السوربونى أمين المحفوظات، فهو شاب مثقف مهذب وخبير فى الحياة الفرنسية وله علاقات بالصحافة الفرنسية فقال سعد: أجل هذا الشاب مثقف مهذب أحب الاحتفاظ به...».

هذه المعرفة بالحياة الفرنسية وثقافتها هى ما دفعت السوربونى إلى أن يكون حريصًا كل الحرص على ألا تذهب رسالته التى حملها كتابه سدى؛ لذا حاول بقدر المستطاع أن يجعل من الثورة المصرية للقارئ الفرنسي ثورة ذات نسب وصلة، ولا يشعر بأنها غريبة عن ثقافته وتاريخه، أكثر من هذا فهى وريثة ذلك التراث الثورى الفرنسي الممتد عبر التاريخ. ولعله نجح فى هذا بشهادة أستاذه أولار الذى لم يهتم كثيرا بتلك الناحية المنهجية من الكتاب ـ كما رأينا ـ إلا أن ما شدّ انتباهه وحرص عليه ودلل على نجاح مهمة صبرى حقا، ما جاء برسالته ـ المقدمة ـ من التأكيد على مدى تعلق الطلاب المصريين بالتنوير، والحضارة الفرنسية، واستلهام الشعب المصرى «مبادئ ثورتنا التى تتميز بالعقل عن الثورات الأخرى بأنها لم تنجز لنا فحسب، ولكنها أنجزت لجميع البشر».

ولعل براعة صبرى هى التى دفعت أستاذه إلى أكثر من ذلك عندما أكد على أن «عصبة الأمم ليست سليلة الفكر الأمريكى فحسب، ولكنها أيضًا سليلة الفكر الفرنسي». لقد استطاع السوربونى بطريقة تقديمه لقضية بلاده أن يحرك فى القارئ الفرنسي مشاعره الوطنية، ومن ثم يكسب تعاطفه تجاه كل مشاعر وطنية حقيقية أخرى، ومنها مشاعر الوطنية فى الثورة المصرية. وتتوج خلاصة رسالة أولار هذا النجاح الذى قصده السوربونى من كتابه عندما وجد أن «الرأى العام وليس فقط الفرنسي، بل الرأى العام العالمى سينضم رويدًا رويدًا إلى قضيتكم، والصفحات الجميلة التى كتبتموها ستسرع هذا الانضمام على المستوى العالمى، وأتوقع تزايد التعاطف معكم...» وهل

كان السوربونى يطمح فى أكثر من هذا؟ إن تلك الكلمات فى حد ذاتها تؤكد على أن ما أراد تحقيقه فى سبيله للتحقق.

لكن السؤال المشروع: كيف استطاع صبرى السوربونى أن يصل بالكتاب إلى تحقيق الهدف الذى سعى إليه؟ بمعنى آخر ما هى الآلية التى لجأ إليها فى عرض موضوعه، حتى استطاعت أن تلقى كل هذا القبول والتعاطف؟

وللإجابة على السؤال المطروح ينبغى دراسة الآليات التى لجأ إليها كاتبنا، وساعدته فى الوصول إلى مقصده بكل هذه البراعة التى عايناها.

أولا: اللجوء إلى عيون الأدب الفرنسى:

حاول السوربونى أن تكون عباراته فى متناول المثقف الفرنسى، وفى نفس الوقت ليست عصية على رجل الشارع، فهو يريد أن يكسب الجميع لقضيته الوطنية، من هنا كان أسلوبه الذى تراوح بين العبارة الأدبية الرصينة وبين العبارة البسيطة، بل وأحيانا الدارجة. ولكى يكون مقنعا كان يلجأ من حين لآخر إلى عيون الأدب الفرنسى لينهل منه بعض العبارات أو الأفكار الملهمة ذات التأثير الإيجابى على فكر وذوق القارئ الفرنسى. ولقد وجدنا كيف استخدم عبارة فكتور هوجو (١٨٠٢- ١٨٨٥)، الذى اعتبر منذ سنة (١٨٢٧) المنظر الأساسى للمدرسة الرومانسية، وهو أشهر الكتّاب الفرنسيين فى عصره فى الشعر والأدب والمقالة. وعلى المستوى السياسى كان نصيرًا للنزعة الإنسانية والديمقراطية الليبرالية. مازال مواطنوه يحفظون عنه عباراته وأفكاره من قبيل «لا ينبغى على الغنى اليوم أن يبحث فحسب عن الجميل، لكن أيضا عن الخير» أو «إن الشاعر هو على الأخص المرشد الذى بإمكانه أن يجلب للإنسان الحقيقة، لأن الكلمة هى الفعل والفعل هو الله» و«إن الكلمة هى ذلك السر الذى يأتى من النفس» وغيرها من عبارات مازالت مطبوعة لدى الجمهور الفرنسى، لذا لجأ السوربونى إلى قصيدة

هوجو «الشرقيات» ليقتبس منها تلك الصورة التى تركت أثرا كبيرا فى نفوس الفرنسيين عندما كتب هوجو عن آثار الدمار والخراب التى خلفها الأتراك أثناء حرب الاستقلال اليونانية، التى كان يؤيدها الفرنسيون، حاول السوربونى أن يذكر الفرنسيين بتلك الصورة الحزينة التى حفظتها ذاكرتهم الجماعية، بل ويستدعيها عندما يماثل بين حرب الاستقلال المشروعة لليونانيين وحرب الاستقلال بذات المشروعية التى يخوضها أبناء وطنه فى مصر، وإذا كانت حرب الاستقلال فى اليونان قد قمعت بوحشية من قبل الأتراك، مما أحزن الفرنسيين آنذاك، فالمصريون الذين يطالبون باستقلالهم اليوم يقمعون بنفس الوحشية القديمة، وكأن الإنجليز اليوم قد ورثوا الأمس، وهو ما جعله يستخدم جملة هوجو الشهيرة، ويضع بدلا من الأتراك الإنجليز حينما قال: «لقد أغرق الإنجليز البلاد كلها فى النار والدم، بذروا الحداد والخراب فى كل مكان، حرقوا قرانا، ودمروا ريفنا. بعد الأتراك، مرّ الإنجليز من هنا...».

ولم يقف السوربونى عند حد استعارة العبارات الأدبية الشهيرة من عيون الأدب الفرنسى، بل لجأ أيضا إلى الأفكار الشهيرة التى حفل بها تاريخ الفكر الفرنسى، فلجأ أيضا إلى لامارتين (ألفونس لامارتين١٧٩٠- ١٨٦٩) ذلك الكاتب الشهير الذى عمل بالكتابة والسياسة، ومازال يذكر الفرنسيون كتاباته التى تأثروا بها جميعا «سيكون الشعر هو الصدى العميق، والحقيقى، المخلص لأعلى مفاهيم الذكاء، ولأكثر انطباعات النفس سرية، إنه الإنسان المخلص بكامله». لقد عرف عن أعمال لامارتين أنها عظيمة عندما ترتبط بالإيقاعات المرنة والهارمونية المعبرة لكى تعبر عن أكثر المشاعر الإنسانية حميمية، أكثرها تنوعا، والتى لا يمكن الإمساك بها. يصبح لجوء السوربونى هنا للامارتين ذا جدوى وتأثير، فيما أراد أن يؤكده من رسالة فى كتابه. فيحيل السوربونى عظمة الثورة الفرنسية إلى أنها استطاعت أن تحقق ما كان يبحث عنه لامارتين عندما عالج فى كتاباته ثورات التاريخ الكبرى.

استطاعت تحقيق ما أسماه لامارتين فى أعماله «الشيء الإلهى»، وهو الذى ظهر فى تلك الخلطة التى جمعت فى الشعب المصرى بين الذكاء والتـدين. وهى فضائل إذن ظلت كامنة تنتظر الفرصة لكى تعبر عن نفسها، وها هـى الفرصة تسنح فى تلك الثورة المصرية، التى أثبتت مشروعيتها بأفكار مفكر عظيم يعرفه الفرنسيون ويقدرونه. أكثر من ذلك فإنها حققت نبوءة أخرى تنبأ بها هذا العبقرى المعروف وهى أن: «عصر الجماهير يقترب». فالثورة ضد الإنجليز جمعت بين أفراد الشعب المصرى من كل طبقاته وأديانه، وجعلـت الأفكار السياسية فى متناول يده، إنه الوعى بالذات الذى تحدث عنه من قبل لامارتين، وجعله شرطًا لتحقيق توقعه من اقتراب عصر الجمـاهير. وهـل هناك فرصة أعظم من تلك يمكن أن ينتهزها السوربونى لكى يؤكد ويعطـى المشروعية لطموحات جماهير شعبه الثائر فى مصر؟

ثانيا: تقريب الصورة من خلال المكان والأحداث:

حاول السوربونى دائمًا أن يقوم بتقريب الصورة للقارئ الفرنسى مـن خلال ربط ما يحدث بمصـر بـبعض الأمـاكن بفرنسـا ذات الإيحـاءات النوستاليجية لهذا القارئ، والتى تشكل فى ذهنه مخزونًا مليئًا بأحداث تمثل له أروع صفحات تاريخه، ومن هنا يمكن التأثير عليه، واستجداء عطفه تجـاه ثورة المصريين. ويبدأ هذا التقريب بشكل مباشر ومحدد، كما أوضح، حـين أعلنت إنجلترا الحماية على مصر من طرف واحد، وهو ما يمثـل احـتلالا غير شرعى. أخذت تنفى الوطنيين بالمئات إلى مالطا أو تزج بهم «فى سجن طرة الكائن بجوار القاهرة وهو شبيه بالباستيل». وهى مماثلة شديدة القوة هنا للفرنسيين الذين يعرفون سجن الباستيل تلك القلعة العسكرية التى شيدت فـى باريس تحت حكم شارل الخامس (١٣٧٠)، وحولها ريشـيليه إلـى سـجن للدولة. ولم يكن هذا السجن سجنًا عاديًا، إذ سجن فيه قادة الـرأى والفكـر وأشهر من لعبوا أدوارا مهمة فى حياة الشعب الفرنسى مـن أمثـال: جـاك دراميتاك، وبرنار باليسى، وباسوم بيير، وفوكيه، وفولتير، ولالى تونـدال،

وساد غيرهم من المشاهير، ولعل شهرته تلـك ودوره الكبيـر فـي القمـع والتعذيب، جعله هدفًا أساسيًا في حد ذاته عند قيام الثورة الفرنسية، حيث لـم يتم هدم قلاعه وإسقاطه سوى عام (١٧٩٠) أى بعد شهور من اندلاع الثورة الفرنسية. ومن هنا يؤرخ للثورة الفرنسية بسقوط سجن الباستيل، أى سـقوط أقسى ما كان يمثل رمزا للقمع والكبت الممارس على الشعب الفرنسى. مـن أجل هذا كله حاول السوربونى أن يحرك تلك الذكريات بمرارتها، وحـلاوة انتصاراتها ليرى القارئ الفرنسي ما حدث في مصر وكأن التـاريخ يعيـد نفسه، وأن ثورة الشعب المصرى تستحق التأييد والمساندة لأنها ثـورة فـي وجه الطغيان والظلم الذى عرفه الشعب الفرنسى قبل ثورة سنة (١٨٨٩).

كما يأتى التقريب أيضا بسرد بعض صور الأحداث فى مصر نقلا عما جاء بالجرائد الأجنبية ليعطى لها مشروعية، ولكى يؤكد للفرنسيين أن مصر ليست كما عهد تموها أيام الحملة الفرنسية، وأنها تغيرت كثيرًا عمـا جـاء بكتاب «وصف مصر»، بخاصة حينما يقدم لهم مالم يكن متخيلا عن مصـر منذ سنوات قليلة من هذه الأحداث نفسها، وهو ما يتصـل بوضـع المـرأة المصرية عندما تظهر «نساء المجتمع المصرى الراقى فى شـرفات ونوافـذ (وهن يلقين) بالورود على المتظاهرين» وتكرر هذا المشهد أكثر من ذلـك فكن يهتفن بنفس الهتافات الوطنية، حينما ينقل صبرى هذا المشـهد يقـول: «إننا عندما نقرأ عن هذه الأمور، نشعر حقًا أننا فى باريس أو فى روما فى يوم احتفال وطنى». وينقل هنا صبرى عن نساء المجتمع الراقى فى مصر، وليس عن نساء المجتمع الشعبى، لأنه من المعروف أن نساء المجتمع الراقى كنّ الأكثر ارتباطًا «بالحرملك» والأكثر تمسكًا بالتقاليد والأعراف التى كانت تحكم مصر آنذاك، على عكس نساء المجتمع الشعبى اللائى حظين بحريـة أكبر داخل المجتمع. إن رسالة صبرى فى إبرازه للصورة السـابقة تحمـل مغزى عميقًا يفهمه دعاة حرية المرأة وتحررها بفرنسا. فـالمرأة المصـرية أصبحت تهتم وتشارك بإيجابية فى سياسة بلادها، وإن حدثُ الثورة المصرية

قد عمق تحررها وأعطاه دفعة وزخمًا، وإن مساندة الثورة المصرية سوف تؤدى إلى تكريس تحرر المرأة المصرية، وهو فى حد ذاته هدف نبيل.

كما يأتى التقريب أيضًا فى عملية مماثلة تمامًا ـ يقوم بها صبرى ـ مع الثورة الفرنسية، ويحرص دائمًا أن يستقى أحداثه ومماثلاته من الأجانب الذين كتبوا عن أحداث الثورة المصرية لكى لا يعتقد القارئ أنه يغالى فيما يقدم، أو أن اندفاعاته الوطنية جعلته يتوهم بعض الأحداث. لذا يلجأ هذه المرة لأحد الكتاب الفرنسيين المعروفين للقارئ الفرنسى وهو فيكتور مارجريت عندما جعل الأجانب المقيمين بالبلاد جزءًا لا يتجزأ من المصريين فى ثورتهم، مؤكدا على عدم تعرضهم لأى استفزاز، ومن هنا كانت مشاركتهم مع المصريين فى أحداث الثورة. وهو الشىء الذى جعل الكاتب نفسه يماثل بين اشتراك الأجانب فى الثورة المصرية للمجاملة التى تعنى تعاطفًا وإعجابًا، وبين حضور الإنجليز والألمان والنمساويين والإيطاليين الجلسات الأولى لوكلاء الأمة أثناء الثورة الفرنسية، خاصة فى أهم أحداث هذه الثورة ليلة ٤ أغسطس حيث تم إلغاء الامتيازات الاجتماعية، وفى عيد الاتحاد، حيث اعترف الملك لبلاده بالدستور. ويعلق صبرى على ما كتبه فكتور مرجريت: «إن الإمبرياليين الذين يحاولون عمدًا تشويه روعة ثورتنا متهمين إيانا بالتعصب وبكراهية الأجانب يمكنهم الاستمرار فى نفى ما هو بديهى». ويحاول السوربونى من عبارته الأخيرة تعليقًا على مرجريت أن يبرز حقيقة طالما حاولت الصحف البريطانية فى أوربا تشويهها، وهى أن ما يحدث فى مصر مجرد اضطرابات مدبرة من قبل قلة من المهيجين الباحثين عن وظائف، سرعان ما سوف تنتهى قريبًا بعد أن يسود النظام، وهو الأمر الذى يحاول التأثير على الأوربيين بإقناعهم أن أحداث مصر يمكن أن تؤثر على الرعايا الأجانب فيها ومصالح الدول الأوربية، وهو ما حاول صبرى هنا نفيه بجدارة عندما استعان بما قاله مرجريت نفسه من أن ما يحدث فى مصر ليس ثورة فقط، ولكنها ثورة تكاد تماثل ما حدث بفرنسا فى أيامها

العظيمة إبان ثورتها، فى كل تفاصيلها وإجراءاتها، حتى هجرة الفلاحين المصريين لحقولهم تشبه ما قام به فلاحو فرنسا لإنقاذ بلادهم أثناء الثورة الفرنسية...

ثالثا: استدعاء رموز الثورة الفرنسية:

عمد السوربونى أيضا إلى استحضار بعض الرموز ذات الدلالة فى الثورة الفرنسية، التى تحدثنا عنها وهو ما من شأنه أن يعمق تقريب الصورة من خلال المكان والأحداث الذى تحدثنا عنها منذ قليل، ويكرس تلك الصورة الذهنية التى استطاع أن يحققها لدى القارئ الفرنسى. ومن هذه الرموز ذات الدلالة أن يشبه النشيد الذى غناه المصريون أثناء ثورتهم على موسيقى فردى لنشيد السلطان، بأنه يمكن أن نطلق على رباعيته بحق «مارسييز» شعب مضطهد. والسوربونى على علم كامل بماذا كان يعنى المارسييز للفرنسيين، وهو ذلك النشيد الوطنى الذى كتب كلماته ووضع ألحانه بستراسبورج أحد الضباط وهو روجيه دى ليل Rouget de Lisel وكان بعنوان «نشيد حرب جيش الراين»، و كان قد غناه للمرة الأولى مجموعة الاتحاديين من أبناء مدينة مارسيليا الذين وصلوا إلى باريس أثناء اضطرابات العاشر من أغسطس سنة (١٧٩٢)، ومن هنا أطلق عليه المارسييز. وأصبح المارسييز هو النشيد الوطنى الفرنسي في الرابع والعشرين من يوليو سنة (١٧٩٥) وحتى الإمبراطورية الأولى، ثم عاد مرة أخرى بداية من فبراير (١٨٧٩). وهو مازال حتى اليوم النشيد الوطنى الفرنسى. عرف السوربونى أن الأحداث الثورية العظمى لابد لها من أن تنعكس فى أعمال فنية تخلدها، وتصبح لسان حال الحالة الثورية القائم؛ لذا اهتم بأن يترجم هذا النشيد الذى غنته الجماهير المصرية فى الشوارع ليقدم أمام القارئ الفرنسى حالة ثورية فريدة تذكره بنفس الحالة الثورية الفريدة التى عاشتها فرنسا إبان ثورتها، مركزا فيه على إبراز اتحاد الأمة بطوائفها وطبقاتها وأعرافها فى وحدة وطنية رائعة، تؤكد أن مبدأ المواطنة أصبح مع الثورة المصرية أمرًا واقعًا،

وهو ما لم يمكن تصوره منذ سنوات قليلة. ويستحضر السوربونى رمزا آخر أكثر أهمية، ولكى يجبر القارئ الفرنسى على تصديقه، يستقيه مرة أخرى من كتابات فكتور مرجريت الذى يقدم ترجمة لما تم على الأرض من وحدة وطنية إلى تلك الوحدة الرمزية التى جسدت التقاء عنصرى الأمة باعتبارهما مواطنين كاملى الأهلية، ولكن هذه المرة فى إطار الصياغة الجديدة لعلم المصرى بفعل تلك الأحداث التى ساهمت في تضامن المسلمين والأقباط. فعلاوة على التداخل الذى حدث من دعوة رجال الدين الإسلامى للتصدى للاستعمار والمطالبة بالاستقلال من داخل المساجد، وتعانقهم، ظهر بشكل رمزى ما يجسد هذا، وهو ما يبرزه السوربونى على لسان مرجريت «المنظر الأكثر تأثيرا كان ظهور أعلام يحيط فيها الهلال بالصليب وكأنه يحتضنه، مع هذا الظهور كان يصيح الجمهور الثائر: تحيا مصر الوطنية، عاش الوطن متحدًا. هكذا أعطت مصر المسلمة للعالم الأمثلة على التسامح والوحدة المقدسة»، وأهم من ذلك تلك المماثلة التى يسوقها «مثلما حدث سنة (١٧٨٩) بفرنسا عندما صنع العلم الفرنسى من علم باريس متصالحًا مع العلم الملكى، ها هو رمز المسيحيين ورمز المسلمين يتضامنان فى علم مصر الجديد. فيحتضن الهلال الصليب رمزًا وطنيًا رائعًا، وكم سيكون المستقبل باهرًا!» هكذا فهم السوربونى أهمية الرموز، وأهمية التأكيد على أن الثورة المصرية ليست بأحداثها فقط سليلة الثورة الفرنسية، ولكنها أيضًا فى أدق تفاصيل رموزها التى تمثل مرعًى راقيًا بالوطنية، وبصياغة وحدتها المقدسة، إنها حقا تمثل ثورة دينية وسياسية معا.

ولا يقف السوربونى عند الحدود السابقة، بل يذهب أبعد منها عندما يؤكد — وبنفسه هذه المرة — أن الثورة المصرية وطنية وليبرالية، وهل كانت الثورة الفرنسية غير ذلك؟! إنه حاول أن يطبع ثورة مصر بنفس طابع الثورة الفرنسية، مبرزا أن «الفكرة الديمقراطية بكل أشكالها الأكثر حداثة كانت قد أخذت طريقها فى كل أرجاء مصر»، أكثر ما يظهر كيف تأكد ذلك

من خلال ما حدث فى الأقاليم المصرية من إعلان الجمهورية فـى المنيـا وزفتى ومدن أخرى، وكيف تم إجبار المدير (المحافظ) على أن يتخذ قراراته باسم الشعب، بل وانتخاب رئيس للجمهورية، ووضع إلى جانب كل قـاضٍ محلفًا من الشعب. كانت الثورة المصرية كما رآها السوربونى تعمل علـى تكريس مبدأ السيادة الشعبية. وقد كانت تلك اللغة هى التى يفهمها الفرنسيون ويحترمونها لأنها فى الحقيقة تكرس مبادئ ثورتهم، ومن ثم أكد السوربونى عليها وأبرزها، إذ إنها مازالت تشكل مرجعية فى أذهان الفرنسيين، ومازالت تعبر عن الرموز الحية لثورته من أن مجرد استدعائها وإسقاطها على الثورة المصرية، يكسب هذه الأخيرة تعاطفًا وتأييدًا منقطع النظير.

رابعا: الحضور الفرنسى فى الثورة المصرية:

شكّل تركيز السوربونى على الحضور الفرنسى فى خضم الأحداث فى مصر نقطة قوية فى جذب اهتمام الفرنسيين إلى موضوعه، ومن ثم الخروج بنتيجة مفادها أن فرنسا نفسها حاضرة بل ومتورطة كعنصر يلتفت إليه على أنه نصير الحقوق المصرية المشروعة، مما ينمى الإحساس لـدى القـارئ الفرنسى بأن ذلك الموضوع ليس منفصلاً عنـه، ولكـن يخصـه بصـورة مباشرة. ويحاول السوربونى تأكيد هذا الحضور بإبراز أكثر من مظهر يدل عليه، من هذه المظاهر أنه قد تخير ما أوردته جريدة الإيلبستراسيون من أن العلم المصرى كان أكثر وضوحا، وكانت هناك إلى جانبه أعلام أخرى يذكر الأعلام الفرنسية فى مقدمتها، وبعدها الإيطالية والأمريكية، ولنـا أن نفهـم مغزى أن يكون موقع الأعلام الفرنسية يأتى مباشرة بعد الأعلام المصـرية وقبل الأعلام الأجنبية الأخرى. وهو الشىء نفسه الذى يقدمه للقارئ الفرنسى من خلال إحدى الصحف ليبين من خلاله أن مصر بكل فئاتها وطبقاتها حينما تهتف بحياة الأجانب من غير البريطانيين ففرنسا فى مقدمتهم، وذلك عنـدما يصور كيف أن المظاهرة التى شملت رجال القضاء، والمحامين والموظفين من شتى إدارات الدولة، والأطباء والتجار، والملاك والعمال فـى القـاهرة

هتفت على فترات متقطعة باسم فرنسا، ويذكرها في المقدمة قبــل أمريكــا وإيطاليا، وهو الشيء نفسه الذى تكرر في الإسكندرية أيضا مــن أعضـــاء المجلس البلدى ورجال القضاء وموظفيه، وموظفى الإدارات الحكومية، وكل طبقات السكان المحليين الذين هتفوا بحرارة على طول الطريق بحياة فرنسا، ويذكرها أيضا قبل أن يذكر إيطاليا والولايات المتحدة. وهى إشارة ــ كمــا قلنا ــ تجعل القارئ الفرنسى يوضع أمام مسئولياته المترتبة على هذه الثقــة التى أولاها لبلاده أبناء الشعب المصرى فى ثورتهم.

خامسا: التسامح الدينى:

إن فكرة التسامح الدينى وإبرازه عبر صفحات الكتاب كانــت فكــرة محورية اهتم بها السوربونى كثيرًا، لمعرفته لما تشكله هذه الفكرة فى الثقافة الفرنسية وفى العقلية الفرنسية عمومًا. خاصة وقد حاول طول الوقت أن ينفى التعصب عن هذه الثورة المصرية، سواء ضد الأجانب من جميع الجنسيات، أو ضد الديانات الأخرى، وعلى الأخص المسيحية واليهودية، حيث تــآخى جميع المصريين من جميع الأديان حول الفكرة الوطنية التى نبذت التعصب، وأعلت من شأن التسامح، وهو سر نجاح الثورة. وعلينا ملاحظة مــا ســاقه كاتبنا من مواكب مشتركة، ومظاهرات مشتركة راح على أثرها ضحايا من كل الأديان، بحيث يمكن القول بأن الدماء المصرية اختلطت بتراب الــوطن الواحد الذى رفع شعار «الدين لله والوطن للجميع». قد كان الجمهور يصفق فى كل مرة عندما كان يركب قس مسيحى وحاخام يهودى وأحــد العلمــاء المسلمين جنبًا إلى جنب فى السيارة نفسها. وكان الســوربونى يحــرص أن يضع خطوطًا تحت عبارات مثل العبارة السابقة.

وعندما كان يتحدث السوربونى فى كل مرة عن الهلال والصليب، كان يقوم بتقديم الصليب قبل الهلال، وأعتقد أنه كان يقصد ذلك، ليؤكد علــى أن الأغلبية فى مصر من المسلمين عقدت العزم على احترام الأقباط واحترام ما يشكل رمزا لهم، وبالتالى يؤثر فى نفس هذا القــارئ الفرنســى المســيحى

الكاثوليكي، وذلك بإبراز أن المسيحيين بمصر مواطنون كاملو الأهلية، بل وتحترم مقدساتهم إلى الدرجة التى تصبح فيها شعارات هذه المقدسات، رمزًا وطنيا للجميع.

ولنا أن نلحظ أن المرة الوحيدة التى وُضع فيها الهلال قبل الصليب كانت عندما أراد الحديث عن الماضى الذى تنافر فيه الهلال مع الصليب على مدى ألف عام. ورأينا أيضا كيف سخر مما أوردته الجرائد من أن الثوار يريدون تأسيس إمبراطورية إسلامية على رأسها خليفة فى القاهرة. ولم يعبأ بالرد حتى على هذه الفكرة أو رفضها واصفا لها بأنها فكرة خيالية.

سادسا: حماية المصالح الأجنبية والفرنسية:

حاول السوربونى بشتى الطرق أن يبرز النظام والبعد عن الفوضى عن الثورة المصرية، وبالتالى فالثورة ورجالها أنفسهم يعملون على حماية المصالح الأجنبية بالبلاد، وخاصة الفرنسية منها. ولعل إبراز السوربونى لمشاركة الجاليات الأجنبية فى أحداث الثورة دليلاً رائعًا منه على أن هذه الثورة لم تكن موجهة ضد الأجانب الذين سكنوا البلاد وتآخوا مع أهلها، ولذلك فلم يكن مستغربا أن يلقى القبض على أجانب من كل الجنسيات خرجوا مع المصريين فى مظاهراتهم وتصدوا معهم للقمع الإنجليزى، أكثر من ذلك فقد وجه الضباط الإيطاليون بالقاهرة مذكرة إلى المارشال اللنبى ضد الأعمال الوحشية التى شاهدوها وطلبوا التحقيق فيه، الشىء الذى أوقفه اللنبى. أكثر من ذلك يبين السوربونى كيف أن الثوريين قد قاموا بتنظيم شرطة بلدية مكونة من متطوعين، وكيف أخذ خطباء الثورة الكلمة ليطالبوا بالهدوء ويلحُّوا على عدم إثارة قلق الأوربيين معلنين «مَن سيصير أقل حداثة سوف لا يعتبرونه مصريًا صالحًا». ويبين كاتبنا أنه بهذا العمل المسئول تمت حماية معامل السكر الفرنسية بالحوامدية، والمصالح الأجنبية الأخرى من كل أذى.

سابعًا: إبراز تأثر المصريين فى ثورتهم بفرنسا:

وكان من أهم الأهداف التى حاول السوربونى أن يصل إليها هو أن يصل القارئ الفرنسى لنتيجة مفادها أن المصريين ما كانوا ليثوروا على الاحتلال والقمع، ويطالبوا باستقلالهم من خلال ثورتهم إلا نتيجة تأثرهم بالأفكار الفرنسية، وحاول السوربونى من خلال كتابه أن يبرز هذا التأثير الفرنسى المباشر على الثورة المصرية، حتى على هؤلاء الفلاحين الذين تم تجنيدهم إجباريا فى فيلق العمل، وتم ترحيلهم لفرنسا للخدمة هناك. وفى فرنسا تذمر الفلاحون المصريون، وأحدثوا توترًا كبيرًا، وذلك لتعرضهم لمظالم عديدة، إضافة إلى قسوة الظروف التى تعرضوا لها، ومن ثم تم إعدام عدد كبير منهم رميا بالرصاص، والسوربونى لا يهتم كثيرا بمسألة إعدامهم بقدر ما يهتم بإبراز أن هؤلاء الفلاحين أعطوا الشعب المصرى وهو الشعب النابه وسريع التأثر سببا فى أن يثور ضد الحكومة الأجنبية البريطانية. أى أن الفلاحين المصريين قد تأثروا من جراء وجودهم أثناء تجنيدهم بفرنسا. أكثر من ذلك، فالسوربونى لا يود أن تحسب ثورة الشعب المصرى على مجابهة الظلم فقط، ولكن يود أن يفهم القارئ الفرنسى أن هناك مثلاً أعلى فى «الاستقلال والحرية» لدى الشعب المصرى الثائر، بل وأن هذا المثل هو الذى أثار حميته وأعاد إليه طاقته الأولى، ويجد أن أفكار الرئيس ويلسون ما كان لها أن تجد مردودا فى مصر سوى أن مصر ذات الحضارة الشرقية ـ الغربية كانت أرضًا مشجعة. وتحيل طبيعة هذه الأفكار إلى أفكار الفلاسفة عشية الثورة الفرنسية باعتبارها ركيزة العمل الثورى. الأرض المصرية إذن كما يراها السوربونى ويقدمها لقارئيه من الفرنسيين قد خصبت سلفًا من قبل العبقرية الفرنسية «منذ حملة نابليون، وبفضل العلماء الفرنسيين ثم فى ظل محمد على وسعيد وإسماعيل، وبفضل معاونيهم الفرنسيين والمصريين فإن أفكار الثورة أفكار الحرية والمساواة تلك لم تتوقف عن الانتشار، لقد أحيت هذه الأرض التى بدت، بالأمس، ميتة. هكذا حاول السوربونى بكل جهوده أن

يوضح للفرنسيين بأن ما يحدث فى مصر هو من وحى وإبداع الفرنسيين أنفسهم حتى يضع خطوطا تحت عبارته التالية: «لن نبالغ إذن عندما نقول إن الثورة المصرية هى ابنة الثورة الفرنسية». وهل هناك شيء آخر يمكن التأكيد عليه للقارئ الفرنسى أكثر من أن يعرف أن الثورة المصرية ليست إلا وليدة ثورتهم العظمى، ومن ثم ينضم للمتعاطفين والمؤيدين لها فى جميع أنحاء أوربا؟

والحقيقة أن السوربونى قد نجح فى مسعاه كما رأينا من خلال رسالة أولار – المقدمة التى كتبت له، وخاصة أنه استطاع بمقدرة عالية أن يلعب لعبة الصورة التى كان لها التأثير العميق على القارئ فى أوربا على وجه العموم والقارئ الفرنسى على وجه الخصوص، فالصور التى انتقاها بعناية عبرت أشد التعبير عن مدى صدق ما قدمه، ومدى القمع والعسف الذى يعيشه الشعب المصرى فى ظل الاحتلال البريطانى الآثم.

الإهداء

أهدى
هذا العمل المتواضع
إلى
عزيزى وأستاذى الشهير
السيد أولار
كتعبير عن تقديرى وإخلاصى

المقدمة
رسالة أ. أولار

باريس فى ٢٥ أكتوبر ١٩١٩
صديقى صبرى،

لقد انتهيت من قراءة نسخة كتابك باهتمام وتعاطف وتأثر، ورغم أنك كنت محاميا عن وطنك ويتألم قلبك له، فقد أمتعنى منك ما رأيته من عدم نسيانك لدروس المنهج التاريخى الذى تلقيته بالسوربون عندما كنت طالبًا مجتهدًا ومحبوبًا. لقد بحثت عن وثائقك بعناية، وما من شىء أكدته إلا بقرينة. أثر فينا سردك كما حرك مشاعرنا؛ ليس فقط لبلاغة الوطنى فيه وإنما لرائحة وهواء الحقيقة.

إننى لا أعرف مصر من خلال التاريخ والكتب فحسب، ولكنى تعلمت أن أحترم نبل شعبكم الذى كان أحد باعثى العقل الإنسانى. لقد سافرت لهذا البلد الرائع واغتسلت روحًا وجسمًا بأنواركم، شاهدت وجوه مواطنيكم المعبرة، وشاهدت تلك القامات الرشيقة وهذه الوجوه الحية الرقيقة التى تشبه بشكل مدهش أولئك المصريين القدماء المنحوتين على آثاركم مما يدل على نقاء جنسكم (وأى جنس آخر ظل بهذا النقاء؟)، وأخيرا شربت من ماء النيل: وقصدى من هذا كله أن مصر ليست غريبة عنى كما أنى أحبها.

إلا أنى لا أحب مصر ــ فقط ــ كما نحب متاحفها، أو كما نحب مقابرها، بل إنها أرض الأحياء. إن نهضتكم لجديرة بالتقدير، فهى نهضة فكرية واقتصادية، وتحتاجون معها إلى الحرية لتطوّروا عبقريتكم ومستقبلكم، وإنى لعلى يقين بأنكم جديرون بذلك.

لقد أظهر طلابنا المصريون بالسوربون حبا جما للحقيقة؛ فعندما كنت رئيسًا للبعثة العلمية فى حينها وكنت أسافر لبلدكم رأيت مدى تعلق المصريين

بالتنوير، وعلى الأخص للحضارة الفرنسية، إنكم تريدون العيش كشعب، وتستلهمون مبادئ ثورتنا التى تتميز بالفعل عن الثورات الأخرى بأنها لم تنجز لنا فحسب، ولكنها أُنجزت لجميع البشر. وها أنتم تعتمدون على عصبة الأمم لتحصلوا على حق العيش لحياتكم، وعصبة الأمم ليست فقط سليلة الفكر الأمريكى ولكنها أيضا سليلة الفكر الفرنسى. إن الحق فى جانبكم، كما أن الطاقة التى تبذلونها ببسالة وبمقدار دقيق، هى ما سيصنع مصيركم.

إن وجه الشعب المصرى المضىء بالمستقبل ليرتفع بين عديد من الشعوب التي أيقظتها هذه الحرب (العالمية الأولى) من مرقدها.

إن الرأى العام وليس فقط الرأى العام الفرنسى، بل الرأى العام العالمى سينضم رويدًا رويدًا إلى قضيتكم، والصفحات الجميلة التى كتبتموها لتوكم ستُسرِّع هذا الانضمام على المستوى العالمى. وأتوقع تزايد التعاطف معكم، إذا ما حرصتم على الاستمرار فى هذا الإصرار البطولى للعيش باعتباركم شعبًا، بل إن هذا التعاطف سيجتذب حتى الشعب الإنجليزى نفسه، فالتاريخ يعلمنا أن الشعب الإنجليزى لم يقف حائلا إلى ما لا نهاية ضد العقل والعدل.

مصر! إننى لا أراها فى ماضيها العريق فحسب، لكننى أراها أيضًا فى مستقبلها، جميلة وقوية ومفيدة للبشرية.

عزيزى صبرى، أشكرك على أنك مددتنى عبر كتابك هذا بالأمل والرؤية.

عاش شعبكم النبيل!

أ. أولار

أستاذ تاريخ الثورة الفرنسية بجامعة باريس

الثورة المصرية
(إرهاصات الثورة)*

بالتأكيد إن هذه الثورة واحدة من أجمل الثورات فى التاريخ. لقد كانت عفوية إذ سببتها سياسة الخنق **المنظم** ضد شعب من أربعة عشر مليون نسمة مجمع كله على حقه فى الاستقلال والحرية. هذه الكلمات القليلة «سياسة الخنق المنظم» تلخص وحدها كل الأسباب البعيدة والقريبة للثورة. وإذا كان من الضرورى أن نضع خطًا فاصلا بين الأسباب البعيدة والقريبة فإن سنة (١٩١٤) هى هذا الخط الفاصل؛ ذلك أنها السنة التى أعلن فيها، بشكل غير شرعى، الحماية البريطانية.

كانت هذه الثورة عظيمة. لأنها حققت هذا «الشىء الإلهى» الذى كان يبحث عنه لامارتين فى ثورات التاريخ الكبرى. من أين أتى إذن هذا الشىء الإلهى؟ يأتى هذا الشىء من كون الشعب المصرى شعبا ذكيًا ومتدينًا ورث من تاريخه الممتد والعريق تلك الفضائل التى ظلت كامنة فيه، وعندما هُزَّ هذا الشعب أيقظت الثورة فضائله هذه.

تتلخص أحداث هذه الثورة التى لم تنته بعد (بدأت يوم ٩ مارس) فى بضع كلمات: الاستقلال التام لمصر والسودان المصرى، ومن ثم فإن هذا الاستقلال يمثل لنا الهدف الأسمى.

إلا أن هناك هدفًا ليس بسيطًا قد تم تحقيقه: يتمثل فى أن المسألة المصرية **فرضت** نفسها على الاهتمام العالمى، وعلى ضمائر الرجال الأحرار، وعلى مؤتمر السلام**، وبخاصة، أنه كان قد بدا أن المسألة المصرية قد نسيت منذ اتفاق سنة (١٩٠٤) بين فرنسا وإنجلترا.

---

* هذا العنوان من اضافتنا. (المراجعة اللغوية)

** مؤتمر الصلح الذى تم عقب الحرب العالمية الأولى. (المترجمان)

لقد كانت مصر عشية الاحتلال الإنجليزى ولاية تركية لا تتمتع فحسب بحكم ذاتي تام طبقا لوضعها السياسى الذى تحدد بموجب معاهدة لندن سنة ١٨٤٠، ولكن أيضًا باستقلال ذاتى خارجى بموجب فرمانات أعلنت بعد ذلك.

إن مصر لم تتخلَ أبدًا عن حقوقها التى صدقت عليها القوى الكبرى رسميًا، وناضل المصريون دائمًا من أجل حمايتها، بل واكتساب حقوق أخرى. ولذلك قاموا بثورة (١٨٨٢). لقد اعترف اللورد كرومر نفسه بأن هذه الثورة الأولى كانت «وطنية وتحررية»؛ إلا أن هذا لم يمنع إنجلترا الحرة من أن تحتل البلاد عسكريًا بالحجة الأبدية: «إعادة النظام».

ومنذ هذا اليوم المشئوم لم يتوقف المصريون عن رفع صوتهم ضد الظلم الذى ارتكب بحقهم. ولم يكفوا عن تذكير إنجلترا بالالتزامات التى قطعتها على نفسها بألسنة رجال دولتها ومن خلال معاهدة لندن التى وقعت عليها.

وبعد الاحتلال البريطانى ببضع سنوات، تشكل حزب وطنى متأجج النشاط. وقد رأس هذا الحزب مصطفى كامل وهو سياسى عريق وخطيب مفوه حمل حملة شعواء فى مصر وأوربا ضد تصرفات ومغبات السياسة البريطانية. لقد كان يجسد الوطنية المصرية، وكنا نراه دائمًا فى طليعة الرجال الذين كانوا يعملون من أجل تحرير وطنهم. فالمصريون من جميع الطبقات لا يستطيعون اليوم أن ينطقوا باسمه دون أن ينتابهم شعور عميق بالإخلاص له(١).

لقد كانت مصر عشية الحرب (العالمية) الأولى على وشك الاستقلال؛ الذى اكتسبته عام (١٨٤٠) بدماء أبنائها، وكان من الممكن أن تحصل على استقلالها كاملاً لو لم تتدخل القوى الخارجية بتحريض من إنجلترا.

---

(١) أحدثت وفاته فى سنة (١٩٠٨) مظاهرة عظيمة عُبر فيها عن الشعور الوطنى. وكان محمد فريد خير خلف لمصطفى كامل إذ وهب حياته كاملة فى خدمة بلاده، وهو منفى منذ سنوات عديدة فى الخارج.

عندما اندلعت حرب (١٩١٤) ظن المصريون أن الفرصة قد سنحت لهم بقطع الصلة الضعيفة التى كانت تربطهم بتركيا، وتحقيق حقهم فى الاستقلال الكامل، فقد سارع بعض رجال الدولة المصريين بمطالبة ممثلى إنجلترا باحترام تعهداتها وتحقيق الأمنيات المشروعة لمصر مقابل مساعدة مصر لإنجلترا فى حربها ضد أعداء الحق فى آسيا وأوربا. إلا أن هذا العرض قد رُفض، وأكثر من ذلك فقد أُعلنت الحماية على مصر يوم ١٨ ديسمبر (١٩١٤) بإعلان انتهى بعبارة «جود سيف ذى كينج» God Save the King (حفظ الله الملك!). إن هذا العمل غير المشروع والذى ارتكب بحجة الحرب قد جرح كرامة الشعب المصرى وأثار سخطه. وأقل ما يمكن قوله فى هذا السبيل أن هذا العمل لم يكن ملائما لكى يُهدِّئ من غضب شعب أبيّ. لقد أرادت إنجلترا بهذا الإعلان من طرف واحد أن تعمل على خلق موقف لها يبدو وكأنه عمل شرعى يمكن أن يبرر تصرفاتها أو بالأحرى يبرر احتلالها المقنَّع. إنها نهاية مأساوية لمسرحية هزلية مُثلت على الطريقة الإنجليزية وبدأت باحتلالها غير الشرعى. وعلاوة على ذلك، فإن إنجلترا بعد أن نصبت من نفسها حامية بشكل ذاتى على مصر أصرَّت على أن تُظهر للمصريين كيف ترى حمايتهم. لقد قامت إنجلترا بنفى كل الوطنيين الذين كانوا موضع الشك ــ وهم بالمئات ــ إلى مالطا، أو زُج بهم فى سجن طرة الكائن بجوار القاهرة وهو شبيه بالباستيل. وهبط فجأة على البلاد طوفان من الجواسيس وكانت أقل كلمة (تقال) فى حق الإنجليز يُبلغ عنها ويقاد قائلها إلى قسم الشرطة. وهكذا شجعت إنجلترا على الوشايات والتجسس الذى أفسد العادات المدنية وأعادت مرة أخرى استخدام الجَلد و«الكرباج». ومورست رقابة شرسة على الصحافة، وأُلغيت حرية التعبير والاجتماع وكل الحريات الشخصية والاجتماعية بأمر من القائد الأعلى لجيش جلالة ملك إنجلترا. وتم بيع القطن الذى يمثل المصدر الرئيسى لثروة مصر

بسعر فرضته إنجلترا التى كان لديها وحدها الحق فى شرائه لترسله إلى لانكشير بثمن بخس. وصادرت السلطات العسكرية المواشى والحبوب، والتى لم يكن هناك غنى عنها للبلاد، وهو ما جعل الحياة أكثر صعوبة لكل من الفلاحين وسكان المدن. وقد قدَّر القائد ودج وودن Wedgwood Ben فى خطاب موجه إلى مجلس العموم في شهر مايو الماضى تلك الخسارة التى أحدثتها هذه القرارات التعسفية بما يزيد على عشرين مليون جنيه إسترلينى.

«... هناك خطأ آخر ارتُكب فى تموين الجيش البريطانى، فعلى مدى سنتين أو ثلاث سنوات كان تموين مائة ألف رجل وعديد من حيوانات النقل يتم على نفقة مصر، وهذا ما أدى إلى أزمة اقتصادية منعت الرقابة الحديث عنها، لأن سياسة السرية والخنق وصلت إلى درجة لم يتصورها أحد فى إنجلترا. لقد كانت حرية التعبير والصحافة موجودة بالكاد فى مصر، ولهذا السبب فإن الحديث عن مطالب ما يسمونه بالحزب الوطنى ودوافع تمرده سيكون بلا معنى».

صحيفة مانشستر جارديان

Manchester Guardian

١٢ أبريل ١٩١٩

وقد جاء بنفس الصحيفة يوم ٢٨ مارس: «وقد تمت مصادرة الطعام وعلف الماشية بواسطة أولئك الموظفين الأكثر فسادا وبُعدا عن الإنسانية وبنفس النظام الذى يجدون فيه أنفسهم يكافأون ويكرمون مرة أخرى من قبل الحكومة. وهنا أدرك الفلاحون أن الحماية البريطانية قد أعادت إليهم مرة أخرى أسوأ أيام الخديوى إسماعيل، إضافة إلى استغلالهم بلا حياء مما أعاد إليهم أيام الترك بل وأسوأ منها».

إضافة إلى ذلك فإن العديد من المصريين أُجبروا على أداء الخدمة العسكرية فى ظروف مخزية. «ورغم هذا فقد كان المصريون على استعداد

للتضحية بكل شيء من أجل الحلفاء، لو لم تكن إنجلترا قد وعدت بشكل سافر عندما أعلنت الحماية بأنها لن تلجأ إلى تجنيد المصريين، وإذا لم تكن ـــ من جهة أخرى ـــ قد عاملتهم بطريقة تتنافى مع مبادئ النظام والعدالة التى كانت تتباهى بها».

لقد وصف الدكتور هـ. جيست H. Guest بطريقة مؤثرة ظروف التجنيد قائلا: «حكى لى صديق ما رآه: عندما ذهب بعض من جامعى المجندين* من «فيلق العمال» (Labour Corps) ساعة الغروب إلى قرية صغيرة من قرى الدلتا، وانتظروا هناك عودة الفلاحين المتأخرين فى حقولهم، وكان العمدة فى خدمتهم. وعند وصول الفلاحين أحاطوا بهم من كل جانب وأخذوا فى الحال كل من رأوه صالحًا للخدمة. وكان بين هؤلاء صبية تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة والخامسة عشرة ورجال يبلغون السبعين عاما. وقد تم وشمهم بعد ذلك، ومن كان يتطاول على معارضة هذه العملية كان عليه أن يواجه العمدة وجامعى المجندين والكرباج. وهكذا فإن من لم يتبعهم صاغرا تبعهم تحت ضربات الكرباج».

ديلى نيوز

Daily News

٢٨ مارس ١٩١٩

وإذ نمنع أنفسنا من أى تعليق على تلك الوسائل التى تنتمى للعصور الوسطى، فإننا سنذكر أيضًا شهادة السيد أ. م. فورستر E.M.Forester: «لقد كان التجنيد لفيلق العمال المصرى يحظى بشعبية بفضل المرتبات المجزية؛ ولما حدث تراجع فى عدد المتطوعين لجأت السلطات العسكرية إلى نظام التجنيد الإجبارى، وكان على كل مدير مديرية أن يأتى بحصة من الرجال. وكان هؤلاء الموظفون يخبرون عمدة كل قرية بعدد الفلاحين الذى سينبغى

* عرف هذا الموضوع عند المصريين باسم الشغل فى السلطة. وقد صور فنان الشعب سيد درويش عذاب الأهالى فى إحدى أغنياته الشهيرة. (المترجمان)

عليه تسليمهم. لقد كان نظام التجنيد هذا سريًا وكانت المناطق التي قاست بشكل أكبر هي تلك المناطق الواقعة في المديريات النائية، حيث لا خشية فيها من سطوة الرأي العام، وكلما ازدادت حاجة الجيش تم التوسع في التجنيد على حساب المدن التي لم يستثن منها غير القاهرة والإسكندرية. وكان من الممكن أن يصل هذا التجنيد إليهما لولا انتصاراتنا في فلسطين. حيث اتفق الجميع على أن ينسبوا الجزء الأكبر من هذا النصر للقوات المصرية المعاونة».

مانشستر جارديان

Manchester Guardian

٢٩ مارس ١٩١٩

ولنطرح الآن مسألة معاملة المتطوعين. ها هو د. جيست يقول في مقال سبق ذكره: «مجرد أن تم تجنيدهم أعطوا طعامًا سيئًا وملابس وأغطية قذرة... وكان يموت المصريون كالذباب على أثر الأمراض المعدية. وعندما سألت هذا الصديق: «لماذا يموتون؟» أجابني ببساطة: «لأننا لم نقدم لهم الغذاء والكساء»».

من جانبه قال السيد فورستر Forester: «تختلف الآراء حول معاملة هؤلاء المتطوعين، إلا أن عديدًا من الجنود البريطانيين حدثوني عن هذه المعاملة الفظة دون أن أسألهم. أما فيما يتعلق بمعالجة المرضى فلم يرد بخصوص هذا الموضوع غير رأي واحد: لقد كانت معاملة مقززة (disgraceful)؛ فأعداد المستشفيات غير كافية وسيئة التجهيز والرقابة، لقد كانت تنشر الأمراض أكثر مما كانت تقاوم عدوى التيفوس المنتشرة آنذاك في الجيش. ويبدو أن وجهة النظر الرسمية كانت ترى أنه عندما يمرض المصريون فلابد بشكل حتمي من أن يقضوا نحبهم، لأنهم في الحقيقة كانوا قد أعفوهم من أي علاج طبي. وفي حالة أعرفها شخصيا أُرسل أحد السكان المحليين إلى إحدى هذه المستشفيات بوعكة خفيفة، وهناك أصيب بحمى

كادت أن تودى بحياته، ولا يمكن أن نندهش من أن جنودنا أنفسهم اعتبـــروا هذه المستشفيات كمراكز للعدوى وكانوا يخشون الاقتراب منهـــا. وبالتأكيـــد نحن لا نستطيع أن نعيد للحياة مرة أخرى أولئك الذين قتلناهم دون جـــدوى، إلا أنه قد ينبغى علينا الاقتراب من مشاعر الأحياء لكى نفهم أسباب التوترات التى اجتاحت الريف مثلما اجتاحت القرى المصرية».

مانشستر جارديان، ٢٩ مارس

وها هو شاهد آخر: «أتذكر أن رقيبا من أركان الحرب التـــى كنـــت أنتمى إليها طلب منى مرة أن أفحص ثلاث حالات من السكان المحليين، كان قد حكم بعدم لياقتهم للتجنيد. وعشية هذا الفحص جُلد كل منهم بست جلدات، أحدثت جروحًا واسعة قابلة لأن تتعرض للتلوث فى أية لحظـــة. لقـــد كـــان الثلاثة يعانون كثيرا من الألم وكان علىَّ مشاركة رأى هذا الرقيب الذى كان بعيدا عن أية عاطفة».

مانشستر جارديان
فريد. ف وين Fred. F. Wynne
١٢ أبريل

وقد كتب السيد س. هوبهاوس C.Hobhouse: «لقد نتجـــت التـــوترات الحالية عن الكراهية التى يشعر بها الفلاحون بسبب تجنيـــدهم بمعســـكرات العمل فى فرنسا وفلسطين. رغم أن هذا التجنيد كان من الناحيـــة الاســـمية تطوعيا، إلا أنه فى الحقيقة كان مفروضا وإجباريًا بعد الوعد الرسمى بعـــدم تطبيق التجنيد نهائيا فى مصر». وحدثت توترات بين الفلاحين فـــى فرنســـا حيث أعدم عدد كبير منهم رميا بالرصاص؛ إن هذه الواقعة ووقائع أخـــرى تتصل بالمظالم التى ارتكبت بحق المصريين وقسوة الظروف التى تعرضوا لها قد انتقلت، بعد انتهاء الحرب، عن طريق العمال الذين عادوا إلى مصـــر وأسهموا فى تهيئة الأذهان وذلك بفعل التجنيد. حتـــى ولـــو كـــان التجنيـــد الإجبارى وإعدام العمال الثائرين ضروريًا فى اللحظة التى أُمروا فيها، فإنهم

أعطوا شعبًا نابهًا وسريع التأثر سببا فى أن يثور ضد حكومة أجنبية «حتى وإن كانت حكومة حسنة النية».

مانشستر جارديان

١٠ أبريل

إننا مجبرون على القول هنا بأن الحكومة الإنجليزية لم تكن فى أى وقت من الأوقات خلال القرن التاسع عشر حسنة النية تجاه مصر. لقد كان هذا واضحا فى حملتها سنة (١٨٠٧) عندما حاولت جيوشها غزو هذا البلد وقام محمد على بطردها؛ وبالمثل إبان معاهدة لندن سنة (١٨٤٠) عندما منعت هذه المعاهدة مصر من حصد ثمرات انتصاراتها بالحصول على استقلالها الكامل؛ وبمؤامراتها المالية ودسائسها الخفية ضد الخديوى إسماعيل التى كادت أن تدمر ثروة مصر؛ وبسياستها تجاه الخديوى الشاب توفيق الذى لم يكن سوى لعبة فى يديها؛ وباحتلالها غير الشرعى لمصر فى سنة (١٨٨٢)، وبالتنكر لالتزاماتها السابقة، وبسياستها فى الغزو والقهر، وهى بإعادتها للحماية قد أثبتت أكثر من مرة، وبطريقة ساخرة، أنها ليست إلا حكومة أجنبية وسيئة النية.

ولكى نوضح الطابع التعسفى لبعض الظروف الأخرى التى خضع لها المصريون وفرضتها هذه الحكومة سيئة النية أثناء الحرب، علينا أن نتذكر أن إنجلترا كان لديها سياسة مالية تكشف عن المغالاة فى استعمال القوة. وها هى بعض التفاصيل حول سياستها القطنية، والتى ليست إلا مثالاً واحدًا من الأمثلة شديدة الوضوح لسياستها المالية. إن هذه المسألة جد مهمة حيث يشكل القطن تقريبًا الثروة الوحيدة أو بالأحرى يشكل نوعًا من الثروة القومية فى مصر، وكما يعترف المستشار المالى فى مذكرته حول ميزانية سنة (١٩١٥)، فإن أى خفض مبالغ فيه فى ثمن هذه الخامة «يمكن أن يؤدى لكارثة قومية». وعندما اندلعت الحرب فى سنة (١٩١٤) انهارت الأسعار

فى البورصة من ١/٣، ١٨ ريالا*، لسعر قطـن «فـولى جـودفير» إلـى ٢١،١٠/٣٢ ريال. وألغت البنوك كل إقراض؛ وسارعت مؤسسات الرهونات والمقرضون القلقون إلى استرداد استحقاقاتهم. ووجد الفلاحون أنفسهم علـى شفا الإفلاس.

ولتفادى الخسارة قرر مجلس بورصة البضائع بالإسـكندرية تحديـد ١٥، ٣/٨ ريالاً كسعر أدنى، إلا أن المستشار المالى الإنجليزى، لتأكيد حركة الخفض هذه، ألغى هذا الإجراء الذى جاء فى وقته وذلـك بأتفـه الحجـج. واقترحت الحكومة المصرية القلقة لمعاناة السوق أن تشترى ٢ مليون قنطار، إلا أن المستشار اعترض بحق الفيتو معلنا أن إجـراءً كهـذا لـن يرضـى لانكشير!

وفى ٢ أغسطس (١٩١٤) أصدرت الحكومة قرارا بالتسعير الجبـرى لعملات البنك الوطنى المصرى؛ مما دفع إلى أن كل الذهب الذى كان ينبغى أن يكون ــ قانونا ــ فى حوزة خزائن البنك الـوطنى لتـأمين ٥٠% مـن إصداراته توجه إلى لندن.

بهذه الطريقة استطاع النساجون فى إنجلترا تخزين القطن المصـرى بغزارة وبثمن بخس، ودون أن يقوموا بتحويل عملات ذهبية، محققين بهـذا أرباحا طائلة، وعلى العكس من ذلك كان الفلاح المصـرى مجبـرا علـى التنازل عن قطنه بسعر (٨ أو ٩ ريالات) أقل من سـعر العائـد، «ولكـى يستطيع دفع ضرائبه، كان يبيع ماشيته وحتى حُلِىّ زوجته بثمن بخس».

ولكى تغطى مؤسسات الرهونات عوائدها السنوية كانت تقوم فى الآن نفسه بالحجز وطرد الفلاحين من أراضيهم، وقد وصل هذا إلى أرقام غيـر مسبوقة فى الحوليات القضائية فى مصر، وبدلاً من أن تتدخل الحكومة، فإنها طالبت بحقها دون رحمة.

---

* يكتبها المؤلف Talaris بالفرنسية، والمعروف أن المصريين فى هذا الوقـت يطلقـون على هذه التسمية الريال، وهو ما يعادل عشرين قرشا مصريًا. (المترجمان)

كانت جريدة المقطم ــ وهى جريدة عميلة لإنجلترا ــ تقول إنه فى بعض الأقاليم أُرغم الفلاحون على بيع القنطار بستين قرشا (٣ ريالات)، لأن «الفلاحين كانوا ملاحَقين من قبل موظفى الضرائب». ولما عاود السوق صعوده فى هذه الأثناء، وعندما كانت الأسعار تتجه إلى تحسن ملموس فى يونيو (١٩١٧)، تقرر أن البائعين ممن كانوا قد طلبوا بيع أقطانهم فى البورصة سيمكنهم تصفية أوضاعهم بسعر ٢٣ ريالاً.

وبهذا القرار وبالإغلاق المؤقت للبورصة، ومع أنه كانت لديهم مبرراتهم فى هذا «إلا أن هدفهم كان عرقلة حركة صعود السوق». وقد اتخذت فيما بعد إجراءات أخرى للهبوط بحركة السوق: منع تصدير القطن إلى البلدان الحليفة والمحايدة، وشراء الحكومة البريطانية لكل بذر القطن لسنة ١٩١٧ بثمن زهيد، وإلغاء كل تصاريح التصدير للأشخاص وللبنوك، وشراء الحكومة البريطانية لكل المحصول القطنى بسعر ٤٢ ريالا للقنطار من «فولما جود فير»، وهو ما كان يساوى آنئذ من ٥٠ إلى ٦٠ ريالاً للقنطار.

ووقع السوق الذى فقد توازنه فى الركود. وانخفضت أسعار العقود فى الإسكندرية عن ٤٢ ريالاً، بينما بيعت عقود القطن العادى بستين ريالاً فى ليفربول، بعد خصم كل تكاليف النقل والتأمين. إن الاحتكار الذى أقامته الحكومة البريطانية بإرادتها وحدها، بثمن لم يكن مجزيًا أبدًا للفلاح الذى كان يعانى من الارتفاع الرهيب لأسعار المواشى واليد العاملة؛ مما تسبب فى ضرر عظيم لمصر.

وفى الأول من أغسطس سنة (١٩١٨) أُغلقت بورصة الإسكندرية. وهكذا قُطع عيش كل من كانوا يعيشون على هذه المؤسسة.

ولم يكن هذا كل شيء، لقد أنشأ مجلس رقابة الأقطان عددًا ضخمًا للغاية من أنواع القطن المختلفة وأعطى لأربع عشرة مؤسسة فقط هذا

الاحتكار الغنى الذى تمثل فى تسلم كل قطن مصر لحساب الحكومة، وكـان على هذه المؤسسات أن تختبر العينات التى كانت تسلم لها، لتصنيفها وتحديد أسعارها. وكان اختلاف الأسعار يُحدد بطريقة تعسفية، لم تكن أبدًا فى صالح البائع. وكان هذا النظام المتبنى يفتح الباب إذن علـى الأخطـاء والتعسـف بطريقة جعلت الفلاح دائمًا على شفا الإفلاس، ولكى نبين مدى الخراب ينبغى أن نتذكر أن كل محصول سـنة (١٩١٤) تم بيعه بـ (١٦٥٠٠٠٠٠) ستة عشر مليونا وخمسمائة ألف جنيه مصـرى مقابـل (٢٩١٤٥٠٠٠) تسـعة وعشرين مليونا ومائة وخمسة وأربعين ألفا فى سنة (١٩١٣).

تلك كانت السياسة التى تسببت فى إفلاس العديد من الأسر المصرية، وهى أسر كانت، قبل ذلك، فى غاية الثراء، وهو ما سبب ضـررا عظيمـا للبلاد.

بالتأكيد لم يكن من شأن ذلك كله تهدئة الفلاح، الذى وجد نفسـه وقـد انتُزع منه ابنه، وماشيته ومحصوله، وباختصار كل ما كان عزيـزًا عليـه بطريقة تعسفية، ولا إنسانية يملؤها الخزى. ليس مدهشا إذن أن يعبـر عـن ألمه بأغنية شعبية طافت الريف وكانت تبدأ بالمطلع الآتى: «بلدى! يا بلدى! والسلطة أخدت ولدى!».

إن الظلم الذى راح الفلاح ضحيته، خاصة أثنـاء الحـرب أيقـظ، أو بالأحرى، قوّى لديه الشعور بحقوقه؛ لقد تنبه إلى أنه كان من الواجب عليـه طرد السيد الذى كان يمتص دماءه. لقد كان يفكر فى حريته المسلوبة التـى كان فى حاجة إليها. من جهة أخرى، فإن الأفكار الجديدة عن الحق والعدالة التى انتشرت خلال الحرب كان لها دور كبير فى تلك اليقظة. لقد اسـتطاع الفلاح المصرى بفضل ذكائه عبر العصور عندما كان يجمع محاصيله فـى سلام، أو عندما كان يدفع بمحراثه على الأرض الرعوم أن يُوجد مثلا أعلى. ولهذا السبب «أظهر الفلاح المظلوم منذ زمن بعيد وبطريقة مفاجئة أنه قادر على أن يقاوم من أجل ما يعتقد أنه حقوقه السياسية. وإذا افترضنا أنه كان قد

غرر به مهيجو المدارس من الراديكاليين، فإن قدرته على فهم المثل الجديدة للقومية، وتصرفه بناءً على إشارة معطاة بجانب تنسيقه مع المحركين ليعتبر ظاهرة شديدة الأهمية. إن الفلاح نفسه الذى نرى صورته غالبا على الآثـار القديمة، محنى الظهر تحت الكرباج قد تعلم أن يرفع رأسه ويمد يده».

دكتور و.ت. إليس(٢) W.T. Ellis
مراسل نيويورك هيرالد New York Herald
القاهرة، الأول من يونيو

ولكن ينبغى التركيز هنا على هذه الحقيقة: إن الأفكـار التـى تتعلـق بحقوق الشعوب وحرية الإنسان، وعلى الرغم من بساطتها ووضوحها الشديد إلا أنها لم تكن فى متناول كل الطبقات الشعبية ولا كل المظلومين. إن الظلم وحده عامل مؤثر، ولكن ينبغى إيجاد عامل آخر يندرج فى درجـة حيويـة الشعوب والأفراد، الذين يدركون هذا بوعيهم وبذكائهم، إننا عندما نفكر نجد أن هذه الفئة من جماهير الفلاحين، «الذكية وسهلة الاستثارة»، والمكوَّنة من «العاملين الأشداء» عندما كانوا يعاملون بقسوة، كانوا يشكلون غالبية الأمـة ولم يكن ثمة عائلة واحدة ليس بين أفرادها واحد أو أكثر من الفلاحين، وهكذا نستطيع أن نفهم بشكل جزئى لماذا أخذت الحركة الوطنية المصـرية هـذا الاتساع وذلك الطابع الثورى.

لقد كتبت جريدة إنجليزية الفكرة الآتية حول هذا الموضوع: «كانـت سياستنا شديدة التعاسة بالقدر الذى جعل الفلاحين الآن يتحدون مع الطلبة أو الأنتليجنسيا ضدنا».

ديلى نيوز Daily News، ٣ أبريل

أما بالنسبة لنا نحن المصريين، فلا يسعنا إلا أن نسـعد معتبـرين أن اتحاد هاتين الطبقتين اليوم قد مُهر للأبد بالدم. لقد كانت السياسة الإنجليزيـة

(٢) الدكتور إليس Ellis شاهد عيان عاش فى مصر أثناء الثورة، وقد وصف أحداثها فى مقالات بديعة تشهد على صدق حياديته.

سياسة تعسة لأنها حاولت أن تجعل من الظلم نظاما، وتبذر الفرقة وتثبت الاختلاف بين طبقات أمة هى بمثابة عائلة واحدة (Divide utregnes). "فرّق تَسُد".

ولنتحدث الآن عن الأنتليجنسيا فقد كان هذا الجزء من الأمة يعانى من رؤية وضع اليد الإنجليزية على مصر وهى تتفاقم يوما بعد يوم، بينما كانت إنجلترا تعلن أمام العالم أنها كانت تقاتل من أجل انتصار الحق على القوة؛ إلا أنه لا ينبغى الاعتقاد بأننا نريد من هنا أن نستبعد كلية عالم السياسة عن عامة الشعب، لأن هذه الحرب العالمية فى الحقيقة عن طريق العدد اللانهائى للأفكار العديدة والمتنوعة والمصالح المتضاربة أيقظت كل الطبقات التى لديها القدرة على الحياة وجعلتها تعى ذواتها، هكذا تحققت نبوءات لامارتين: «عصر الجماهير يقترب».

كانت الأنتليجنسيا تعانى عندما ترى فى موقف مصر حاضرًا بائسًا ومستقبلاً مهدداً ؛ إنه حاضر بائس لأن مصر أصبحت محمية، ومستقبلها مهدد حيث كان الإنجليز يعدون لتوهم مشروعات لقوانين مشئومة. كانت هذه المشاريع التى يعدها السير و. برينيا Sir W. Bruniat تعمل خاصة على إقامة برلمان مصرى تكون الأغلبية فيه إنجليزية. وهل ستصبح مصر حينئذ إلا مستعمرة بريطانية؟

كانت الأنتليجنسيا تعانى من أن تجد نفسها تُعامل باحتقار وقسوة، وكأنها من «السود الملعونين» (Dam Diggers) أو من الغجر (البوهيميين) وذلك من قبل الأفواج العديدة من الموظفين الجاهلين المملوئين بالعجرفة ممن كانت ترسلهم إنجلترا إلى مصر بدءًا من إعلان الحماية، ومن قبل الجنود الإنجليز ممن كانوا يعتقدون «أن مصر إنجليزية وأن السكان المحليين كانوا من الملونين الذين دخلوا البلاد». «أكثر من أسترالى كان يقول إنه إذا ما كان الأمر بيده لكان قد طهّر البلاد منهم».

ميس دورهام، Miss Durham

ديلى نيوز، ٢ أبريل

عدم الرضا كان عاما؛ ففى الوقت الذى خرج فيه ويلسون من برجه العاجى ليضع مبادئه، قام هذا الإنجيل الجديد للأمم بتهدئة الخواطر وسمح بالتفاؤل وهكذا أصبح المصريون مطمئنين على ضمان تحررهم. أصبح ويلسون بالنسبة لهم نبيا جديدًا وأصبحت أفكاره عقيدة يبشرون بها حتى أقصى أعماق ريف مصر. وبخاصة مبدأ الجنسية الذى كان له أكبر الأثر على عقل الشعب المصرى؛ لقد كان هذا المبدأ يساوى لديه بالأحرى فكرة أن المصريين كانوا يشكلون أمة[٣] متسقة، تتحدث اللغة نفسها، ولديها الذكريات نفسها وواعية بذاتها. فمصر ليست «تعبيرًا جغرافيًا»، إنها أمة حقيقية لا تنتظر إلا استرجاع سيادتها لكى تلعب، دورها الحضارى، كما كان فى الماضى، تحت رعاية عصبة الأمم المستندة على الواقع الحى.

لقد لجأ المصريون تحت صعوبات الواقع الآنى إلى مبادئ ويلسون؛ لكن عدم رضاهم ـ الذى كان بعيدًا عن أن ينفجر فى هذا الحين، فى ثورة تشل العمل العسكرى للحلفاء في الشرق ـ قد ساهم فى التهدئة على الرغم من مشروعية مطالبهم. لقد قاموا بأكثر من ذلك عندما ساعدوا الحلفاء بحسن نية مساعدة فعالة، وهم يكتمون بشكل مؤقت تطلعاتهم العادلة. وعندما ساهم المصريون فى انتصار الحلفاء اعتقدوا أنهم قد ساهموا فى انتصار قضية كانوا سيستفيدون منها بحق، إذ وضعوا فى حوزة الحلفاء حوالى مليون ومائتى ألف من العمال والجنود وكل موارد الدولة من النقد، ومن المنتجات الزراعية والصناعية. ولعبت المدفعية المصرية أكثر الأدوار فاعلية. وباعتراف المارشال ألِنبى Allenby نفسه «كان التعاون المصرى واحدًا من العوامل الأكثر حسمًا فى الانتصار على الأتراك» هكذا بررت مصر انتظارها لتحقيق استقلالها، بالقدر الذى كان لديها الحق فيه إذ كانت قد قبلت بالتضحيات الجسيمة من أجل قضية الحُلفاء. وأصبح أمل مصر يقينيًا عندما انتهت الحرب بانتصار الحق على القوة.

---

(٣) قدرة امتصاص هذه الأمة فى أنها تهضم كل العناصر الأجنبية وتجعلها تفقد طبائعها الخاصة.

وتحت دفع الرأى العام وبناءً على مبادرة الجمعية التشريعية التى كانت أعمالها معلقة بشكل تعسفى منذ بداية الحرب، تم تشكيل وفد، وترأس هذا الوفد سعادة سعد زغلول باشا، الوزير السابق ونائب الرئيس المنتخب للجمعية التشريعية. إنه أحد رجال (١٨٨٢)، أحد الناجين من هذه الكارثة الكبرى، والتى مازال يحتفظ منها بذكريات أليمة. كان سعد زغلول باشا رجلاً من طراز عال، شديد الذكاء، عنيدًا وحازمًا؛ ذا تأثير كبير على الشعب المصرى الذى يقوده. إنه أبو الثورة، التف حوله عدد كبير من النواب ورجال من كل المهن.

ولكن ليعطى مهمته طابعًا مزدوج الشرعية قام هذا الوفد بنشر عرائض فى البلاد من أجل التصديق على هذا الاختيار الذى تم. وفى الحال سارع أعضاء الجمعية التشريعية، والمنتخبون المحليون، والمنتخبون الإقليميون، باختصار كل ما يشكِّل البلاد بشكل شرعى: الموظفون، وضباط الجيش، والأطباء، والمحامون... إلخ. سارعوا جميعًا بالتوقيع على العرائض. ووصلت التوقيعات إلى مليونى توقيع، عندما قرر وينجت باشا* Wingat pasha ممثل إنجلترا التدخل، وكان منذ البداية غير متنبه لهذه الحركة. فأمر بمصادرتها، إلا أن الوقت كان متأخرا لأن النتائج التى تم الحصول عليها كانت تشهد بإجماع الأمة بإرادتها على أن تكون حرة. وطلب الوفد الذى ساندته الأمة تصاريح تجيز له السفر إلى إنجلترا وفرنسا بغرض الدفاع عن قضية مصر. لقد كان الوفد المصرى بفكرة سفره إلى إنجلترا قد أخذ على عاتقه أن يبين حقيقة الموقف المصرى إلى الرأى الحر الإنجليزى؛ الذى كان قادته يوقعونه بشكل منظم فى الجهل بما يحدث. فى هذا الحين استخدم وينجت المماطلة والحجج الواهية لكسب الوقت، تاركًا رئيس الوفد يأمل فى نتيجة مشجعة.

* المندوب السامى البريطانى فى مصر سنة (١٩١٩). (المترجمان)

ومن جهته طلب رشدى باشا، رئيس الوزراء خلال فترة الحرب بأكملها وهو الوفى للإنجليز، تصريحًا لكى يذهب مع أحد زملائه ليعرض حلاً للمسألة المصرية على الحكومة الإنجليزية. ولكنهم تناسوا وفاء رشدى الشديد وكل الخدمات التى قدمها للإمبراطورية وفى سبيل الحق، واعترضت السلطات العسكرية أيضًا على سفره. وأمام تهديد رشدى بالاستقالة تنازلت إنجلترا، إلا أن رشدى باشا أمام ضغط الرأى العام أصبح أكثر سخطًا فأكثر، فرفض، أو بالأحرى وضع شرطًا بأن يصطحبه الوفد الذى وكلّته الأمة. فرُفض شرطه هذا، وهنا قدم استقالته فى ٢٣ ديسمبر (١٩١٨)، لكى لا يتحمل أمام التاريخ «هذه المسئولية الرهيبة: وهى أن يكون رئيسًا لوزراء مصر ولا يعبأ بمصيرها، فى تلك اللحظة التى سيتحدد فيها مصيرها بشكل نهائى». وعن هذه الاستقالة تقول جريدة المورننج بوست morning post فى عددها الصادر فى ٢٩ يناير: إنها قُدمت فى ظروف جعلت المهمة صعبة على أى مصرى آخر يمكن أن يشكل حكومة جديدة دون أن يتعرض لتراجع شعبيته. منذ ذلك الحين وحتى شهر أبريل، وخلال أكثر من أربعة أشهر، كانت مصر تعيش حالة غريبة لبلد خال من السلطة التنفيذية والتشريعية. أما فيما يخص الوفد، فلم يتوقف عن الاحتجاج بالتلغرافات والخطابات الموجهة إلى المقيمين من الأجانب، وإلى القنصليات، وإلى الحكومة الإنجليزية، وإلى مؤتمر السلام، لكن دون جدوى.

وتبعا للصياغة الصحيحة **لمجلة أوربا الجديدة** «كان الشعب المصرى أسيرًا داخل حدوده». وإذا كانت إنجلترا قد استطاعت حبس شعب من أربعة عشر مليون نسمة، إلا أنها عجزت عن خنق صرخته التى كانت تعلو. لكنها نجحت فى الوصول بإحباطه وآلامه إلى أعلى درجة. لقد أصبحت مصر بإرادة إنجليزية كالإناء المكتوم!... أمانى مرتعشة، وانفعالات تغلى، وغضب يعتمل، وكانت أوربا تجهل كل هذا. ألم يكن وادى النيل بالنسبة لها غير مستعمرة إنجليزية؟ كانت وزارة الخارجية البريطانية تعلم ذلك، ولكنها كانت

تأمل معالجة المرض بإنكار وجوده. إنها سياسة تبسيطية ذات نتيجة مدمرة».

فكتور مرجريت Victor Marguerritte

صوت مصر

(قيام الثورة)*

لقد وصلت سياسة الخنق تلك إلى الدرجة التى جعلت أى مصرى فى أوربا لا يستطيع معرفة ما الذى حدث وما الذى كان يحدث فى مصر. وبصدفة فريدة تظهر الإجماع وعفوية الشعور الوطنى، قدمت الجمعيات المصرية التى كانت قد تشكلت فى العواصم الأوربية، وأثناء تقديم الوفد المصرى فى الداخل لاعتراضاته، الاعتراضات المطالب الوطنية نفسها.

وبذلت الجمعية المصرية فى باريس مجهودًا كبيرًا كنا نشعر أن علينا واجبا لإبرازه من خلال وصف خيانتهم لحليف الأمس (مصر) ومن خلال هذا التنكر للمبادئ التى حارب من أجلها الحلفاء، اتضح فى الوقت نفسه هدف إنجلترا الإجرامى والفظ بشكل جلى ومحدد. لقد ظهر هذا الهدف أكثر وضوحًا عندما استمرت إنجلترا فى ممارسة سياسة الاستغلال والاستعباد على المصريين. وعلى سبيل المثال: فقد أُسند إلى الإنجليز ثلاثة آلاف وأربعمائة وسبعين وظيفة جديدة، على حساب المصريين، وذلك خلال شهرين من نهاية الحرب.

واستمر رئيس الوفد بالرغم من كل ذلك فى المطالبة بالتصاريح وألح بشجاعة على الحصول عليها، إلا أن إلحاحه تسبب فى نفيه وثلاثة من زملائه(٤). إلى مالطا فى ٨ مارس سنة (١٩١٩) بأمر من الجنرال واطسون Watson. لقد ألقوا على جبين الأمة سبة وتحديًا بنفى الممثل

* هذا العنوان من إضافتنا. (المراجعة اللغوية)

(٤) هؤلاء كانوا: حمد الباسل باشا، ومحمد محمود باشا، وإسماعيل صدقى باشا.

الشرعى للأمة المصرية، دون محاكمة أو تفسير، وقبلت الأمة التحدى. وأعطى هذا العمل المستفز إشارة الثورة. وفى التاسع من مارس ترك طلاب المدارس العليا فى القاهرة مدارسهم وقاموا بمظاهرات سلمية بهدف الاحتجاج، ولكن تم القبض على مائة وعشرة طلاب منهم.

وفى العاشر من مارس خرج طلاب كل المدارس العليا والثانوية. إضافة إلى طلبة جامعة الأزهر (التى لا يقل عدد طلابها عن عشرين ألف طالب) خرجوا يتظاهرون فى الشوارع وهم يهتفون: «مصر للمصريين!» وفى اليوم نفسه قرر المحامون الإضراب، وأعلن كل محامٍ بشكل منفصل أمام القاضى أنه سيتوقف عن الدفاع عن موكله، «لأن العدل الحقيقى هو الذى يخص مصلحة الأمة، وليس المصلحة الخاصة»؛ وسُجِّل هذا الإعلان فى المحضر الرسمى، وقام السائقون والمحصلون بترام القاهرة بالشىء نفسه ليتظاهروا. ولكن قوبلت هذه المظاهرات السلمية بنيران المدافع والرشاشات، وسقط العديد من الضحايا بين الطلاب، وانتقل خبر هذا القتل الجبان من القاهرة وكأنه شرارة كهربائية، ألهبت البلاد بأكملها.

وينبغى أن نذكر هنا بأنه قد رُفع عن المصريين فى بداية الحرب كل إمكانيات الدفاع عند جمع كل الأسلحة النارية وعند منعهم حتى من حمل العصى التى كان يتجاوز حجمها قدرًا معينا. ولكى يلجأ الشعب المصرى إذن ــ هذا الشعب الوديع ــ فى مثل هذه الظروف إلى العنف، يعنى أن ما حدث هو أكثر من تعسف وأكثر من استفزاز مذل. وقامت فى كل البلاد هبة شعبية عفوية. فقام الفلاحون الثائرون فى شمال وجنوب مصر، تمامًا كما كان فلاحو فرنسا بالأمس يريدون إنقاذ بلادهم أثناء الثورة الفرنسية، هجروا حقولهم بالآلاف لكى يدمروا قضبان وعواميد السكك الحديدية، ويحرقوا المحطات.

وفى نبأ رسمى «إنه فى السادس عشر من مارس هاجمت جمهرة من

الفلاحين الذين جاءوا من القرى المجاورة المركز (المدينة) وحرروا المساجين». وبينما كان الجنود مستمرين فى مواجهة المتظاهرين المسالمين بضربات سنج البنادق والمسدسات، وقذف القرى بطائراتهم، «لم يتوقف المتظاهرون فى اليوم التالى عن التضحية رغم ضحايا اليوم السابق، وسقوط رفاقهم قتلى أو جرحى بالعشرات فى الشوارع». لقد كانت مصر بمثابة قلعة ضخمة محاصرة ولتفادى طلقات الرصاص الإنجليزى كان الناس فى المدن الكبيرة وفى القرى يختبئون خلف السواتر فى الشوارع وخلف أكوام من الحجارة، كانوا يحفرون خنادق حول القرى لكى يحموها من العربات المدرعة. وازدادت فى هذه الأثناء وطأة المظاهرات. حيث شاركت فيها كل الطبقات. تحدثت جريدة القاهرة فى عددها (الصادر) فى ١٩ مارس عن إضراب سائقى الحناطير، والعربجية وعمال الشركات، ومنضدى الحروف، وعمال المطابع ومصانع السجائر والعمال بصفة عامة، وتتحدث الجريدة فى مكان آخر عن إضراب الخبازين(٥)، والجزارين، وكناسى الشوارع... إلخ. وها هى الكيفية التى تصف بها هذه الجريدة المظاهرات التى قامت يوم ١٨: «دارت مظاهرة بالأمس فى هدوء شديد: فبدأت فى الثامنة صباحا. ولم تنته إلا فى الخامسة بعد الظهر». «كان المتظاهرون يهتفون أثناء المظاهرة: تحيا مصر! تحيا الأمة المصرية! وبقدر ما يتقدم المتظاهرون كانت تزداد صفوفهم، ويمكن القول إن عددهم قد وصل فى وقت ما لأكثر من الضعف. وكانوا يمثلون كل طبقات المجتمع».

ومن أجل صالح البلاد كان الموظفون فحسب هم الذين لم يقرروا الإضراب. ولكن عندما أعلن اللورد كيرزون Lord Curzon فى الرابع والعشرين من مارس فى خطابه أمام مجلس العموم بإنجلترا شكره للموقف المخلص للموظفين، أرسل الموظفون فى الحال احتجاجا مكتوبا للسلطان

(٥) فى عددها الصادر فى ١٠ أبريل قالت الجريدة: «أضربت الأفران البلدية بالأمس لتعبر عن مشاعرها وتضامنها مع أمانى الأمة».

وتبعوه بإضراب عام. وهكذا لم تكن هناك وزارة، ولا شرطة، ولا جـــيش، ولا قضاء، ولا بريد، ولا محلات، ولا وسائل اتصال. وشلت الحياة تمامـــا؛ لأن الجميع من الباشا وحتى كناس الشارع المسكين، نزلـــوا إلـــى الســـاحة العمومية وألقوا بأنفسهم فى الثورة. إن مشهد التضـــامن الـــوطنى هـــــــذا ــ بخاصة ــ هو ما هز مشاعر الشهود الذين بهروا بهذا المشهد.

(مظاهر التضامن الوطنى)

(مشاركة كل الأديان والأجناس والأعمار)*

مشاركة كل الأديان:

كان الأقباط المسيحيون، باعتراف جريدة المورننج بوست نفسها فى ٩ أبريل، أكثر ملكية من الملك. فكانوا من بين الأكثر تمسكًا بالفكرة الوطنية وأوائل من وقعوا ضحايا من أجل قضية الاستقلال. كان القساوسة المسيحيون يدعون من أعلى المنابر إلى حب الوطن، كذلك كان مشايخ وعلماء جامعة الأزهر الإسلامية فى الكنائس. وظهر على العلم الوطنى الصليب مع الهلال والنجوم الثلاثة التى يحملها العلم المصرى. «كنا نرى قساوسة مسيحيين فى سيارة مزينة بالأعلام الوطنية تجوب الشوارع وعليها صورة البطريرك القبطى، رأيت أحد هؤلاء القساوسة يضع يده فى يد أحد العلماء المسلمين داعيا الجماهير إلى حب الوطن الأم». المنظر الأكثر تأثيرًا كان ظهور أعلام يحيط فيها الهلال بالصليب وكأنه يحتضنه، مع هذا الظهور كان يصيح الجمهور الثائر: «تحيا مصر الوطنية، عاش الوطن متحدًا».

خطاب ويصا واصف بك

عضو الوفد المصرى. ٢ أغسطس

هكذا أعطت مصر المسلمة للعالم أعظم الأمثلة على التسامح والوحدة المقدسة. ومثلما حدث سنة (١٧٨٩) بفرنسا عندما صُنع العلم الفرنسى من علم باريس متصالحًا مع العلم الملكى، ها هو رمز المسيحيين ورمز المسلمين يتضامنان فى علم مصر الجديد. فيحتضن الهلال الصليب رمزًا رائعًا، وكم سيكون المستقبل باهرًا! (فكتور مرجريت Victor Margueritte).

* هذا العنوان من إضافتنا. (المراجعة اللغوية)

عندما نفكر أن بين أربعة عشر مليونًا من السكان فى مصر، يوجد اثنا عشر مليونًا من المسلمين وأن كل الجمهور المسلم قد حمل الصليب، وأكثر من هذا فقد سُمح للقساوسة المسيحيين بالصعود على المنابر فى المساجد وأن «يمتهنوها»، وعندما نعتبر من جهة أخرى، أن القساوسة الأقباط تركوا العلماء المسلمين يدخلون الكنائس ويحمسون من أعلى المنابر بعقيدة الحرية، مما يعتبر من جهة أخرى تدنيسًا لأماكن مقدسة أو ما يشبه هذا، علينا الاعتراف بأن هذا الحدث يشكل فى حد ذاته، من وجهة النظر الإسلامية كما هو من وجهة النظر المسيحية، نوعا من الثورة السياسية ــ الدينية.

مشاركة الجنسين:

لقد تركت النساء المصريات الحرملك بالمئات ليتظاهرن ويتحادثن فى أمور السياسة. لقد قدمت إحدى مظاهراتهن ــ التى صُرح بها أولا ثم أوقفت بالقوة المسلحة ــ مشهدا شديد التأثير، وكشفت عن شجاعة المرأة المصرية التى تماثل المرأة الرومانية، وحين أن كانت المتظاهرات محاطات بصفين من الجنود الذين كانوا يهددونهن بسنج البنادق ويمنعونهن من السير أو العودة إلى منازلهن، تقدمت إحداهن(٦)*، وفتحت صدرها لجندى كان قد هددها، قائلة له: «اقتلنى إذن لكى يكون هناك ميس كافيل أخرى Miss Cavell». ولم يكن باستطاعة النسوة العودة إلى منازلهن بغير تدخل القنصليتين المصرية والإيطالية، وذلك بعد انتظارهن لمدة ساعتين تحت شمس محرقة! وألقت آنسة مصرية خطابًا بالفرنسية أمام فندق شبرد قالت فيه «لن أتزوج لكى لا ألد طفلاً يستعبده الإنجليز».

(٦) إنها زوجة سعادة شعراوى باشا، نائب رئيس الوفد المصرى.

* هى هدى شعراوى (١٨٧٦ ــ ١٩٤٧) رائدة الحركة النسائية. التى قادت تنظيم ومشاركة النساء فى الثورة، وكان لها دور فعال بعد ذلك فى إنشاء لجنة الوفد المركزية للنساء التى ترأستها، وفيما بعد رئيسة الاتحاد النسائى المصرى. (المترجمان)

مشاركة كـل الأعمـار:

كان الأطفال من سن عشرة إلى اثنى عشر عامًا ينـادون، كالشـيوخ بنفس صيحات الحب والأخوة. وأُطلق على أحدهم النار بغزارة لأنه هتـف قائلاً: «تحيا الحرية!» أمام كتيبة إنجليزية. وشُيّع فى جنازة مهيبة وكان خلف نعشه جمهور بلغ مائة ألف رجل (وليس عشرة آلاف كما زعمـت جريـدة التايمز Times)، وكان بين المشيعين قضاة ومحامون بأروابهم. وكنا نقـرأ على الأعلام السوداء التى كانت تتبع الركب، «من أجل شـهداء الحريـة». وفى بورسعيد أُصيب طفل يبلغ عمره اثنى عشر عامًا برصاصة إنجليزية فى صدره لأنه هتف لمصر والحرية أثناء مظاهرة كان يحمل فيها العلـم. فـى الحال هرع إليه الجنود البريطانيون لينزعوا منه العلم المصرى الذى كـان يمسك به فى يده ولكنه تشبث به. ولم يستطيعوا أن ينتزعوه منه إلا عنـدما فارق الحياة، ضاربًا لمواطنيه مثلاً حيًا فى البطولة والفداء. إضافة إلى ذلك فقد تقدم الأطباء إلى السلطات العسكرية الإنجليزية وإلى أعضـاء البعثـات الدبلوماسية باحتجاج ضد مذبحة الأطفال الذين لم يتجاوزوا اثنى عشر عامًا. وقد أدى موت الأطفال وعلى الأخص الفتيات إلى جنازات ضخمة وعظيمة، شهدتها القاهرة يوميا. ولعل هذا كان أحد الجوانب الأكثر تـأثيرًا للثـورة. يرسم الدكتور إليس Ellis بعضا منها فى اللوحة التالية بجريـدة نيويـورك هيرالد الصادرة بنيويورك يوم ٢٠ يونيو: «بدلاً من أن نشاهد جمهورًا ثائرًا، يصرخ شاهدنا فى السادس من أبريل بعد الظهر جنازات شـديدة التنظـيم، كانت تتقدم ببطء وجلال».

«لم تشهد القاهرة أبدا شيئا مماثلا. كنا نرى فى البدايـة أناسًـا علـى دراجات يشقون الطريق ويعطون التحذيرات للجمهور الذى كان يمشى على الأرصفة، ثم صفوفا طويلة من الطلاب فى زى موحد على جانبى الطريق. «يتبعهم الموظفون وهم يرتدون زيهم الرسمى وفرقة من الموسيقيين الـذين ارتدوا ملابس مزينة بشرائط ذهبية».

لقد كانت أردية الفرقة على الطريقة الأوربية، غير أن الموسيقى التى كانوا يعزفونها شرقية، إنها لحن جنائزى بطىء وحزين، يتنسم حزن الشرق العريق... هل هى الموسيقى أو المناسبة التى جعلت هذا الحشد الصاخب يبدو بهذا الهدوء؟ هدوء يلف الموكب وهو من النادر جدًا أن نجده فى الشرق. وقد توقف كل نشاط فى الطرق الكبرى التى كان يمر بها الموكب. «لم يكن منظرًا لجمهور هائج. فبعد الطلاب، والجنود، والموظفين، كان يمشى علماء الأزهر، الجامعة الرئيسية فى العالم الإسلامى، أناس وقورون يرتدون العمامات والجلابيب الواسعة (الكاكولة) ثم صفًا وراء صف يأتى الأفندية، من المصريين المثقفين الذين كانوا يرتدون على الطريقة الأوربية فيما عدا الطربوش ثم الأساتذة، وأصحاب المهن الحرة، والتجار والطلاب. وتدريجيًا تصل الصفوف إلى العمال والفلاحين عندما تقل كثافتها. وكأن وجه الجميع شاخصا وحزينا...».

لقد كان العلم المصرى يلف النعش نفسه الذى كان يحمله الطلاب على أكتافهم، وكان بداخله جثمان طفل استشهد فى اشتباك وقع بين الجنود والجمهور... قدم هذا الموكب نوعين من البراهين. إذ شاهدنا فى البداية أحد العلماء بصوت عالٍ ومؤثر، تماما كتلك الأصوات التى نسمعها من أعلى المآذن فى العالم الإسلامى أثناء الأذان يصيح: «لعنة الله على القتلة!» وعلى إثر هذا، كان الناس الذين يتبعون الموكب يرددون: «آمين» وهذه الكلمات تسمع كصدى للصوت فى الكنيسة. وكان البرهان الآخر يأتى من الهتافات المتقطعة وبناءً على إشارة تُعطى:«يحيا الفداء من أجل الحرية!» لقد وجد الشرق بمشاعره المتأثرة بكل هذا صيحة لمعركة أكثر واقعية من تلك الشكاوى المتنوعة والمختلفة ضد الإنجليز.

كان هذا الموكب هو الدليل الذى أعطى على قدرة التنظيم والنظام لدى المصريين إذ كان أكثر تأثيرًا من كل الصيحات أو من عظمة الموكب

الجنائزى. ففى الوقت الذى كنا ننتظر فيه انفجار عنف مجنون من قبل الرعاع، حضرنا على العكس هذا المشهد العارم للنظام الكامل والاعتدال. لقد حافظ الطلبة على السلوك الطيب للجمهور، وهو ما لم يستطع أن يقوم به الجنود أو رجال الشرطة. فقد كان كل شيء يحدث في هدوء، ودون احتكاك وبجلال حقيقى.[٧]

كانت ضربة ذكية. وكأن الموكب الجنائزى أراد أن يقول: «هل تعتقدون أننا غير قادرين على حكم أنفسنا. انظروا فيما نحن قادرون على فعله فى أحرج أوقات تاريخنا. نحفظ النظام دون مدافع أو قوات عسكرية، ونصوغ احتجاجنا، مع احترامنا وتحكمنا فى أنفسنا».

لقد حقق هذا الموكب الأول ــ فى الواقع ــ نجاحًا كبيرًا وهو ما عاد فى اليوم التالى على نطاق واسع؛ إذ كان الموكب الثانى يضم من خمسة إلى عشرة آلاف رجل. وتتنوع التقديرات بشكل كبير[٨] لم يكن هناك سوى عدد ضئيل من الأعلام، ولكن كان الجميع يحملون الصليب والهلال...» وكشف الطابع المشئوم للجنازات فى حادثة كنت شاهدًا عليها، عندما وصلت دورية من شارع متقاطع.

«وكان طبيعيا أن يكون المرور متوقفا بسبب الموكب».

---

(٧) م. ج. جرين ليرميت M. J. Grain – Lhermitte الذى درس المسألة المصرية «فى واقعها» ورأى عن قرب الوطنيين المصريين فى حالة الفعل واتفق مع د. إليس فى الأفكار نفسها: «إن مصر هى البلد الأكثر تسامحًا فى العالم. شاهدنا بأنفسنا مناظر أكثر إقناعا، مثل جنازة الوطنى القومى الكبير مصطفى كامل الذى سار وراء موكبه أكثر من مائة ألف رجل يتبعون كل الأديان، واستطاع أن يسير فى مدينة القاهرة كلها، دون أن تحدث أى صرخة، ولا أقل تدافع. فى هذه الأثناء لم يكن هناك أية قوة شرطة مجهزة خصيصا لهذا اليوم» (أروب نوفيل L'Europe Nouvelle، ١١ أكتوبر).

(٨) «كان يتبع الجنازات من الجماهير من ٢٥ ألفا إلى ٣٠ ألف شخص» (إيليستراسيون Illustration، ٣ مايو).

فقد كانت هذه المظاهرة قضية جدية... وقاد الجندى الذى كان فى المقدمة حصانه نحو الجنازة، معتقدًا أنه يمكنه متابعة سيره بحرية.

وبدلا من أن تتركه جمهرة الأفندية يمر اقتربوا من بعضهم البعض أكثر فأكثر. لم يكن هناك أى صراخ، ولا احتجاج شديد، فقط هذا الإغلاق الصامت والمحكم للصفوف كان بمثابة جدار قوى من الرجال المتشحين بالسواد ضد هذا الدخيل المسلح. توتر الموقف للحظات، وبدا الأسى على وجوه الجمهور.

كان يمكن لأية حادثة أخرى أن تخلِّف جنازات جديدة.

فى تلك اللحظة أمر رقيب الدورية رجاله بالانسحاب. ولم نسمع أية صيحة للانتصار من قبل المصريين. استمروا فقط فى مسيرتهم الصامتة، ووجوههم أكثر تعبيرا عن الحداد. كان موقفهم يعبر ببلاغة عن المعنى التهديدى للمظاهرة. الكبير والصغير، رجل الدين، والمحامى، والقاضى، الأستاذ والطالب، التاجر والميكانيكى والفلاح. كان الجميع يسيرون فى الصف بانتظام، معلنين للعالم تضامن الوطنيين فى قرارهم.

حتى الملاحظ ذو التفكير المحدود لم يعد فى استطاعته إنكار أن كل طبقات المصريين كانت وراء هذه الحركة الجديدة التى دخلت فى نزاع مع السلطة البريطانية(٩)

«فى اليوم التالى للجنازة الثانية استسلمت الحكومة البريطانية، استسلاما كاملا وبدون شروط. كان هذا عملاً سياسيًا، مليئًا بالعظمة والشجاعة والحكمة»(١٠). إذا لم يكن ــ للأسف ــ قد دمره الغضب المجنون للضباط والجنود الإنجليز...

---

(٩) كان لجريدة التايمز Times رأى آخر إذ قالت فى ١١ أبريل: «الحقيقة أن الجزء الأكبر من جماهير القاهرة لم يشترك فى أى لحظة مع الثائرين(!)».

(١٠) إنه إطلاق صراح المنفيين، بتاريخ ٨ أبريل، بناء على أمر الجنرال ألنبى.

شهدت القاهرة فى يوم الأربعاء ٩ (من أبريل)، جنازات أخرى من نوع آخر، وهو ما أقلق المراقبين الأجانب، فبدلا من نموذج المراسم الصامت، كان هذا الموكب صائتًا وأعطى فرصة لصياح تملؤه اللعنات والتحدى...

كان العشرات أو المئات من الأشخاص فى نهاية الموكب يحملون فى أياديهم بشكل علنى (شوما) وبعض الأسلحة الأخرى التى وجدوها فى متناولهم. كانوا يتقدمون نحو المخاطر. وفى الحقيقة كانوا ينتظرونها. لحسن الحظ كانت قيادة الجيش فى هذا الوقت قد تعلمت درسًا؛ فاحتفظت بجنودها، ومنعت كل فرص الاستفزاز.

كل لمحات العظمة فى التنظيم والنظام التى سادت الجنازات السابقة سادت أيضا هذه الجنازة إلا أن هذه فحسب حملت طابعًا أكثر تعبيرًا. فموظفو بيت السلطان كانوا قد ركبوا خيولهم فى الطليعة، وكان يبدو أن قوة الشرطة المحلية حضرت بكاملها داخل الموكب.

كانت هناك أهمية كبرى فى ترابط المسيحيين والمسلمين، وذلك عندما لُف أحد النعوش بالأعلام المصرية وكان يحتوى بداخله على جثمان مسيحى. كان قد وضع على النعشين الأولين البدلتين الرسميتين للضحيتين: كانا رجلا شرطة استشهدا أثناء كفاح عشية الأمس...

إن ما جعل الموقف برمته مهدِّدا هو كلمة التحدى التى وجهت علانية فى وجوه الإنجليز...

يرفع الناس فى الصفوف الأولى أياديهم إلى السماء، ويقوم من خلفهم بالدعاء بلعنة الله على الإنجليز: "تحيا الأمة!" "عاش الاستقلال التام" "مصر للمصريين!" "يسقط الظالمون" "لعنة الله على القتلة" "عاشت الحرية!" تلك كانت الهتافات واللعنات التى كانت تُسمع على طول الطريق.

وفى يوم الجمعة احتفى بجنازات شعبية أخرى حملت نعوشها ثمان ضحايا من الثائرين. كانت هذه الجنازات جديرة بالملاحظة، خاصة وقد حضرها رجال الدين من الأقباط بصحبة رجال الكنيسة بالزى الرسمى بألوان الأرجوانى والأبيض والذهبى، وبصليب النحاس الكبير للمذبح الرئيسى، كانوا يسيرون فى الصف على الأقدام، جنبًا إلى جنب علماء الأزهر المسلمين؛ وكنا نلاحظ عددًا ضخمًا من الأعلام عليها الصليب والهلال. كانت سبعة من هذه النعوش الملفوفة بالأعلام محمولة على الأكتاف تبعا لعادة البلاد.

كان أحد هذه النعوش ليهودى، وكان مسبوقًا ومتبوعًا بوفود تحمل علم صهيون وموضوعًا داخل عربة موتى مزينة(١١)*

«أعلنت أربعة جنازات بوضوح وببلاغة عن روح التنظيم المصرى، واعتدال، وتضامن ورفض مصر لسلطة التسلط الأجنبى. حُفرت اليوم هوة عميقة كعمق قبر بين الشعب المصرى والإمبراطورية البريطانية. وإلى جانب هذا الشعب سيرتدى العالم كله الحداد».

---

(١١) كان هناك أيضًا نعش لشابة: الآنسة شفيقة، حظيت كثيرًا بالبكاء، فى رثاء نثرى شهير كتبه أحد المعاصرين.

* يثبت هذا الوصف للكاتب بما لا يدع مجالا للشك فى أن اليهود المصريين كانوا جزءا لا يتجزأ من نسيج الأمة بلا تفرقة، بل وتولى أحد أفراد الطائفة اليهودية بمصر الوزارة (قطاوى باشا وزيرا للمالية) والمشكلة الأساسية اليوم ليست مع اليهود كأتباع ديانة سماوية، بل مع الصهاينة الذين قاموا بتشريد الشعب الفلسطينى واحتلال أرضه والأراضى العربية بالقوة، وما زالوا يقمعون هذا الشعب إلى اليوم. وكان السربونى يقصد بعلم صهيون العلم الذى يحمل نجمة داود، وبطبيعة الحال لم تكن الدولة العبرية التى أقيمت على الأفكار الصهيونية قد أُعلنت بعد على أرض فلسطين، ولم يكن المثقفون العرب آنذاك قد اكتشفوا بعد خطورة الحركة الصهيونية على أوطانهم، ولعل انهماكهم فى قضيتهم الوطنية جعلهم يركزون اهتمامهم بها وحدها... (المترجمان)

وبهذا التقدير الجلى لهؤلاء الشهداء الذين يمثلونه فإن الشعب المصرى أحترم ذاته، وحبه للتضحية، وولاءه للوطن المغتصب والجريح. لقد وجد اللحن الأكثر تأثيرا على الشعور والأكثر قداسة. لم يعرف أحد غير الشعب المصرى أن يطبع صورة أكثر فظاعة لمحتله الظالم. كانت هذه الجنازات هى التعبير الأكثر جلاءً لإرادة أمة طمحت فى حياة جديدة. ضحت مصر بأبنائها من أجل إنقاذ أعقابها، «مثل الطبيعة التى تعتنى بحفظ السلالة دون اهتمامها بالأفراد».

احتُفل بروح التضحية تلك وبهذه الوحدة المقدسة فى نشيد وطنى من ثلاث رباعيات، يمكننا أن نطلق عليها بحق «مارسييز* شعب مضطهد»:

رسول السلم إن جئت الكنانة فانثر الزهرا
على الأعتاب، قل للشرق قد آنست فى مصرا
بوادى النيل والدلتا تراث حضارة كبرى
هى الأولى سنبعث مجدها ونجدد الذكرى
يهون الموت ما دامت بنود الحق تحمينا
ويجمع بيننا وطن سنجعل حبه دينا
ويرعى خطونا رب بنور الحق يهدينا
فإما النصر أو نيل الشهادة وهى تكفينا
سنهوى كالصواعق فوق رأس المعتدى الأثم!
ونهتف سوف تحيا مصر أمُّ حضارة العالم!
ويحيا شعبها حرا يعيش شبابه الدائم!

---

* ويعنى النشيد الوطنى الفرنسى الذى قام بتلحينه روجيه دى ليل أثناء الثورة الفرنسية والذى أطلق عليه فى البداية «نشيد حرب جيش الراين». (المترجمان)

ويحيا سعد! يحيا كل من ضحَّى ومن قاوم!**

ويعكس هذا النشيد بطريقة تستدعى الإعجاب صورة مصر المبتسمة أمام الموت، فهو نشيد ــ لا أدرى ــ فهو مرح وحزين، صافٍ وعاصف. ورغم أن هذا النشيد قد كتبه كاتب غير معروف على نمط نشيد السلطان للموسيقار المعروف فيردى Verdi، كاتب أوبرا عايدة، فإنه قد تفوق عليه، إذ فى كل مرة يُغنى فيها نشيد السلطان يبدأ جمهور المتظاهرين بترديد كلمات نشيدهم على لحن نشيد السلطان نفسه.

وبعد أن رأت إنجلترا أن القوة لا يمكن أن تتغلب على مثل أعلى لشعب بأكمله نهض ككتلة واحدة فى مواجهة الحماية البريطانية، غيَّرت إنجلترا من أسلوبها: فعندما عُين الجنرال ألنبى مندوبا ساميا فوق العادة فى مصر، قرر رفع القيود وأطلق سراح أعضاء الوفد الأربعة الذين تم نفيهم بشكل تعسفى إلى مالطا. واستقبل خبر تحرير المنفيين استقبالا حافلا لا يوصف فى كل البلاد. «وأقيم فى كل أنحاء القاهرة، وبشكل عفوى ــ حفل ضخم»(١٢)

شهدت القاهرة حفلات غير عادية. فمنذ الظهيرة غزت الجماهير الشوارع، ملوحة بالأعلام وحاملة أغصان الأشجار.

وبطبيعة الحال كان العلم المصرى هو الأكثر وضوحا، إلا أنه كان هناك أيضا أعلام فرنسية. وإيطالية، وأمريكية، بينما كان غياب العلم البريطانى مُلفتًا للنظر.

وكانت أكثر الظواهر شدًا للانتباه هى حضور النساء المصريات وهن يلوحن بالأعلام.

**هذا النشيد هو الذى قام بإعادة صياغته بالعربية الشاعر د. حسن طلب. (المترجمان)

(١٢) إيليستراسيون Illustration، ٣ مايو.

«يقينا تغير العالم. فلم يكن أحد يستطيع التنبؤ منذ بضعة أشهر بأن نساء الحرملك المصريات سيُجتذبن داخل حلبة السياسة. فالقاهرة اليوم أعطت لنفسها كل الحق في الفرحة. كان الترام محاطا بالجماهير التي كانت تصعد فوقه، وشاهدنا مناظر شديدة الغرابة. فعلى سطح ترام اختبأت مجموعة من الأشخاص، بينما على سطح ترام آخر نشاهد بنات يقمن بالرقص البلدى.

فى الحقيقة، فى بعض الأوقات كانت المدينة أشبه بسيرك».

رويتر Reuter، ٨ أبريل

«استمرت المواكب طوال اليوم، ولم تنقطع صيحات الفرح، كنا فى كل مكان نسمع إلى الصيحات نفسها: "مصر للمصريين!" اشترك فيها عدد من النساء مرة أخرى. وحضرنا حدثا فوق العادة: امرأة وهى تتحدث فى اجتماع كبير أمام قصر السلطان».

رويتر Reuter، ٩ أبريل

ونسجل برضا هذه الاعترافات الفريدة لوكالة رويتر، ولكى نستكمل هذه اللوحة سنستعين بالتفاصيل الآتية **من جريدة القاهرة** Journal du Caire:
عشنا بالأمس ساعات لا تُنسى... ظهر مئات الآلاف من الأشخاص فجأة وبسرعة من كل أنحاء المدينة القديمة، جموع بشرية مكدسة على كل أنواع العربات، «الكارو» الشعبية تركبها العوالم (الراقصات المصريات) وهن يرقصن رقصاتهن التقليدية على إيقاع موزون من التصفيق، كان الترام يختفى من فرط ما عليه من جمهور مخمور بالفرحة... (٨ أبريل)

استعيدت المظاهرات هذا الصباح أيضا...

كل الأعيان المصرية شاركوا فيها...

كان الموكب يمر حسب النظام التالى: عدد من جنود الجيش المصرى،

شباب الطلبة من المدرسة الحربية، العلماء والقساوسة متآخون، وآلاف من الطلبة والموظفين، وعمال خدمات الكنس والرش،... إلخ» (نفس المرجع، ٩ أبريل). وتلاحظ هنا إحدى الوقائع: وهى أن الموظفين، وجنود الجيش المصرى، ورجال الشرطة، كانوا يشاركون بعفوية فى كل المظاهرات الوطنية، مضفين على هذه المظاهرات الشكل الرسمى ضد إرادة الحكومة الإنجليزية التى كانوا يتبعونها. ويكتب د. إليس Ellis فى جريدة النيويورك هيرالد New York Herald فى ٢١ يونيو معلقًا على خبر إطلاق سراح المنفيين وتأثيراته: لقد ترجم الخبر بشكل عام على أنه يصب فى صالح الحرية الوطنية. ويبدو أن الجماهير قد اعتقدت أن الاستقلال قد مُنح لمصر. **لم نستطع الشك أبدا فى أن الوطنية قد تغلغلت حتى فى قلب أكثر الناس تواضعا.** ويمكن لأى فرد أمام مكتبه فى لندن أن يساند تلك الفكرة بأن أبسط الفئات الاجتماعية من المصريين لا تعرف شيئًا عن النزعة الوطنية أو لا تود معرفة شيء عنها، ولكن لا يمكن لأى إنسان يرى القاهرة فى ثورتها أن يصدق هذا ولو للحظة واحدة. إن شيئا ما قد حدث فى الشرق الذى كان نائما لفترة طويلة.

أثرت العواطف العظيمة على أصغر القلوب بين الشعب. إنه بعث حميمي للحياة سال فى أوردة وعروق مصر القديمة(١٣). وفى مقالة أخرى ظهرت فى ٢٦ يونيو تصف المظاهرات تقول: «كانت مصر غاصة باضطراب مُفرح وبرىء للوعى الوطنى... صعدت سيدات من طبقة اجتماعية تحت الصفر فى عربات كانت تسير إلى جانب السيارات الأنيقة لفتيات ونساء محجبات من حرملك الأمراء، والباشوات والبهوات».

فلم تكن مصر أبدًا عبر الماضى ديمقراطية إلا فى هذا اليوم العظيم؛

---

(١٣) الشىء نفسه كان يقوله جورنال دى كير (جريدة القاهرة) فى ١٠ أبريل: «لم نعد ننكر أن الأحداث التى شاهدناها باستغراب تكشف عما لحق بعقل الشعب المصرى ونفسه من تغير عميق».

فالعيد (الفرحة فى الشارع المصرى) كان قد وضع خطًا فاصلاً فى الحياة الوطنية؛ فبداية من البيت الملكى وحتى الفلاحين والبدو، كان الجميع يهتف: "يحيا الوطن!"

شاهدت بعد ظهر اليوم الأول رجالاً يدفعون بطول الطريق عربتى نقل محملتين بالحجارة، وكانوا مبعثا للتعليق، لأنهم كانوا يعملون بينما كان كل منهم يحتفل بالمناسبة. فبينما كانوا يعانون من تعب العمل كانوا يغنون: "يحيا الوطن!"

كان ينبغى انتظار اليوم الثانى (٩ أبريل) لكى نرى مشهدين هما الأكثر تعبيرا عن هذا.

تمثل المشهد الأول فى ظهور نساء المجتمع الراقى وهن راكبات للعربات والسيارات. أغلبهن كن يحملن أعلاما مصرية أو أوشحة أكثر وطنية.

والثانى فى عديد من الأمهات ألبسن أطفالهن العلم المصرى.

هؤلاء النسوة كن يقمن بأكثر من الهتاف لمصر، وللحرية، ولسعد زغلول، ولأمريكا، وللسيد ويلسون Wilson، ولفرنسا، ولمؤتمر السلام. فكن يملن بلا توقف خارج السيارات ويعطين الإشارة للهتافات الصارخة للجمهور(١٤). وكن يقفن فى بعض الأحيان ويلقين خطبًا وطنية كانت تُستقبل دائما بهتاف: "تحيا المرأة!". أصبحت هذه الصيحة جزءًا من (الكورس) العام للجمهور.

كان هذا اليوم يوما لتحرر المرأة. لو أن الأمريكيات أو الإنجليزيات سرن وألقين بخطب، فإن هذا لن يجذب انتباه أحد؛ ولكنه الشرق، القلعة

---

(١٤) كانت جريدة الإيليستراسيون Illustration تقول فى المقالة سالفة الذكر «كانت هناك نساء مصريات يصعدن على مقاعد السيارات، ويقمن بإثارة الحماس نحو إجلال الوطن والحرية».

الحقيقية لسجن وتبعية النساء. **هذا اليوم العظيم هو الذى وضع النساء من كل الطبقات فى المقدمة باعتبارهن محرضات على الوطنية وقائدات للرجال.**

لقد أعطى هذا وحده للمناسبة طابعًا ثوريًا.

ويكمن فى البعد الثانى الانتشار المستمر للأعلام والبيارق التى تحمل الصليب والهلال. وكان الهلال والصليب لأكثر من ألف عام رمزين للتنافر*.

فكل كيلو متر مربع تقريبا فى الشرق الأوسط شهد صدامًا دمويًا فيما بينهما. وقد اُعتبر عداؤهما المشترك عاملاً دائمًا فى كل الحركات السياسية والاجتماعية فى الشرق.

ومهما بدا هذا الأمر عجيبًا إلا أننا كنا نلاحظ علمين كبيرين يحملان الصليب والهلال.

وكان بديهيًا أن هناك اتفاقات متنوعة، ولكن مهما كان الشكل، **فقد كان الجمهور يصفق فى كل مرة عندما كان يركب قس مسيحى وحاخام يهودى وأحد العلماء المسلمين جنبا إلى جنب فى السيارة نفسها.**

إن الوحدة الوطنية السامية كانت هى المحرك لموكب اليوم الثانى.

وشهدت كل المدن المصرية الأخرى أحداثا مشابهة حيث بزغت الوطنية المصرية فى وضح النهار. فعلى سبيل المثال، فى الإسكندرية بالقرب من القنصلية الأمريكية اندفع المتظاهرون فى صفوف من عشرة أشخاص، وهم يحملون على رءوسهم علم كل مجموعة، فى مظاهرة حماسية يصعب وصفها.

«كان المتظاهرون وهم مكونون من رجال القضاء، والمحامين،

---

* هذا القول مبالغ فيه. (المراجعة اللغوية)

والموظفين من كل إدارات الدولة، والأطباء، والتجار، والملاك، والعمـــال... إلخ، يهتفون على فترات متقطعة: "تحيا فرنسا! تحيا أمريكا! تحيا إيطاليـــا! تحيا مصر وضيوفنا الأجانب!"

وبعد أن لفَّ موكب ثانٍ شوارع الأحياء الرئيسية فى المدينة وكانـــت الأعلام والموسيقى فى المقدمة على وقع موســـيقى المارشـــات والأغـــانى الشعبية توقف الموكب بشارع توفيق، حيث أخذ الخطباء هنا أيضا الكلمـــة، وأخذوا يطالبون بالهدوء ويلحون على ألا يثار قلق الأوربيين. لقـــد كـــانوا يقولون إن من سيثير أقل حادثة سوف لا يعتبرونه مصريًا صالحًا».

جورنال دى كير Journal du Caire، ٩ أبريل

ولحماية المصالح الأوربية، ومنع إنجلترا من الصيد فى الماء العكـــر، نضيف أن الثوريين قد نظموا شرطة بلدية مكونة من متطـــوعين، وضـــعوا على ملابسهم وشاحًا خاصًا. وهكذا تمت حماية معامـــل الســـكر الفرنســـية بالحوامدية القريبة من القاهرة، وكل المصالح الأجنبية من كل أذى أيا كـــان مصدره.

وفيما يتصل بمظاهرات الإسكندرية فقد قال أيضا جورنال دى كير فى ١١ أبريل: «الأربعاء صباحًا، اجتمع بمسجد النبى دانيال أعضـــاء المكتـــب البلدى، ورجال القضاء، وموظفو القضاء والإدارات الحكومية... إلخ، حيث تشكل الموكب. ومُثِّلت كل طبقات السكان المحليين فى المظـــاهرة وهُتـــف بحرارة على طول الطريق بحياة فرنسا، وإيطاليا، والولايات المتحدة، **وكان الأوربيون يردون بالتصفيق من شرفاتهم ونوافذهم»**.

وبعد أن مروا أمام قنصليات الولايات المتحـــدة، وفرنســـا، وإيطاليـــا توقفوا، ودخل هذا الجمهور الضخم إلى الكنيسة القبطية.

«وعندما وصل المتظاهرون إلى ميدان محمد علـــى ظهـــرت **نســـاء المجتمع المصرى الراقى فى شرفات ونوافذ عمارة نعمت هـــانم، وألقـــين**

بالورود على المتظاهرين. كما وقفت نساء مصريات أخريات في شرفات منزل آخر، وعندما مرّ الموكب أخذن يهتفن بنفس الهتافات الوطنية، كما أمطرن المتظاهرين بالزهور». إننا عندما نقرأ عن هذه الأمور، نشعر حقا أننا في باريس أو في روما في يوم احتفال وطني. ولنكرر اليوم أكثر من أي وقت مضى عبارة الخديوي إسماعيل الشهيرة: «لم تعد بلادي في أفريقيا، نحن جزء من أوربا». إذن لم يعد هناك مجال للدهشة من أن الأوربيين قد اشتركوا في المظاهرات. «إذ كان هناك بين من تم إلقاء القبض عليهم أثناءها بعض الأوربيين. وتم الإفراج عنهم بناء على أوامر القائد العام؛ ولكن قبل ذلك حذرهم قائد الشرطة بالامتناع عن المشاركة في المظاهرات».

جورنال دي كير، ١٩ مارس

ولكي يبدي اليونانيون تعاطفهم مع مصر، اجتمعوا بميدان الأوبرا وساروا بعدئذ في شوارع القاهرة يهتفون لمصر والمصريين.

وأكثر من ذلك، فعندما استقبل القنصل اليوناني وفدًا من الأعيان المصريين الذين كانوا يودون الإعراب له عن تعازيهم في موت رعايا يونانيين اشتركوا في المظاهرات، قام بإلقاء خطبة استمرت ساعة ونصفًا، حيث قال: «إننا نقدم هؤلاء الموتى تضحية على مذبح حريتكم». وقال جورنال دي كير في ١٥ مارس حول هذا الموضوع: «لا في القاهرة، ولا في الإسكندرية، ولا في أي مدينة أخرى في مصر، لم يشر إلى أي استفزاز في مواجهة الأوربيين على العكس فقد رأينا عددًا كبيرًا منهم يسير في المظاهرات لمجرد المجاملة». «والمجاملة هنا إنما تعني تعاطفًا وإعجابًا» مثل باريس في الثورة الفرنسية، فالإنجليز، والألمان، والنمساويون، والإيطاليون كانوا يحضرون الجلسات الأولى لجماعة وكلاء المملكة*

* بدأت الثورة الفرنسية بالفعل عندما تم استدعاء ممثلي الأمة من وكلاء المملكة الذين كانوا يمثلون الأنظمة الثلاثة (النبلاء، والكنيسة، وعامة الشعب). (المترجمان)

بحماسة ملؤها الاحترام وذلك فى ليلة ٤ أغسطس*، وفى عيد الاتحاد**... وكانت المظاهرات المصرية وليدة الإرادة والوحدة الوطنيتين، وتعبـر عـن أسس جديدة للإنسانية (فيكتور مرجريت: صـوت مصـر) (La voix de l' Egypte).

إن الإمبرياليين الذين يحاولون عمدا تشويه روعة ثورتنا متهمين إيانا مرة بعد أخرى بالتعصب وبكراهية الأجانب، يمكنهم الاستمرار فى نفى مـا هو بديهى. إن قضيتنا عادلة ولا يمكن أن يخنقها أحد. إلا أن المشهد الناطق لهذه الثورة ــ ولنؤكد على هذا مرة أخرى ــ كان مشهد الوحدة المقدسة بين كل الطبقات دون تمييز فى الأعمار، والعقائد، والأجناس وها هى مرة أخرى بعض التفاصيل التى تحمل فى طياتها كثيرا من المعانى: لقـد قـام سـائقو ومحصلو الترام بإضراب استمر اثنين وخمسين يومًا، وهم ممن لا يملكـون دخولاً أخرى غير رواتبهم من عملهم. ولكى يستطيعوا العيش طـوال هـذه الفترة وهم مستمرون فى إضرابهم فقد اكتفوا بوجبة واحدة فى اليوم بدلا من ثلاث.

وأحيانا كانت الوجبة الواحدة تتحول لوجبة جماعية. وأكثر من ذلـك، كنا نشاهد عديدًا من الفلاحات فى الضواحى، يأتين للقاهرة بسلال كبيرة مليئة بالخبز ليقدموها بلا مقابل للمضربين. وأغلق التجار المصريون والأجانـب محلاتهم وحوانيتهم خلال خمسة عشر يومًا؛ ثم فتحوهـا ليعيـدوا إغلاقهـا مرتين أسبوعيًا. ليس هذا كل شىء، فقد تبرعوا بـــ ٢٠% مـن أربـاحهم لمساعدة عائلات الضحايا.

وعلينا أن نضيف أنه بالرغم من حالة الطوارئ والرقابة، فإن جريـدة تسمى الإندبندانس L'independence (الاستقلال) كانت تـوزع يوميًـا فـى

---

* وهى الليلة التى تم فيها إلغاء الامتيازات الاجتماعية بفرنسا. (المترجمان)

** وهو اليوم الذى اعترف فيه الملك بالدستور فى بلاده (المترجمان).

القاهرة، وهى جريدة لم نكن نعلم مصدرها ولا مديريها، كذلك كانت تـوزع منشورات بالفرنسية والإنجليزية بهدف إيضاح الطابع الحقيقى للثورة لـدى الأوربيين والجنود البريطانيين والأستراليين؛ وكان كثيـرون مـن هـؤلاء (الأستراليين) يظهرون أخوتهم للثائرين المصريين، ولكن ينبغى ألا ننسى أن هذه الثورة الوطنية كانت أيضًا ثورة ليبرالية. إن الفكرة الديموقراطية، بكـل أشكالها الأكثر حداثة، كانت قد أخذت طريقها فى كل أرجاء مصر. وهكـذا أعلنت الجمهورية فى إقليمى المنيا، وزفتى وفى عديد من المدن الأخـرى. ففى المنيا ذهب وفد شعبى لدى المدير (المحافظ) وأجبروه علـى أن يتخـذ قراراته منذ هذه اللحظة باسم الشعب، وليس باسم الحكومة. إضافة إلى ذلك، وُضع على رأس الجمهورية رئيسا(١٥)، وإلى جانب كل قاضٍ جلس محلـف، وهو ما أسميناه «حكومة الشعب»، ووصفه الإنجليز بالحكومة البلشفية، لكى ينزعوا المصداقية عن ثورتنا، التى كرست من خلال ذلـك مبـدأ السـيادة الشعبية. هكذا، كما نرى، ثمة جلال لهذه الثورة. ولكن بدلا من الإقرار بهذه البديهية وإعطاء مصر استقلالها السليب، حاولت الحكومـة الإنجليزيـة أولا وبكل الوسائل المراوغة التى تملكها التقليل من أهمية الثورة. ولـم تتوقـف الجرائد الإمبريالية لحظة واحدة عن توجيه سهامها المسمومة إلينا وذلك من قبيل التايمز (Times)، ولوتان (Le temps) وجرائد أخرى تحذو حـذوهما، رغم ما كابدوه من تكذيب الأحداث لهم. «فى البداية كانت تقول الصحف إن من شاركوا فى الحركة كانوا زمرة ضئيلة، وأن الأغلبية مع الإنجليز، وفى كل مرة كانت طبقة ما تعبر عن مشاعرها الحقيقية، كانت الصحافة تقول إن الأمة تقف معنا» (أى مع الإنجليز).

وعندما بدأت الحركة، كانت الصحافة تقول: لا تود غالبيـة الطبقـة المتعلمة معرفة شيء عن هذا الأمر. وعندما تثور تلك الطبقة بدورها ضـد

(١٥) كان الدكتور محمود عبد الرازق، وهو الذى أدانته أخيرا المحكمة العسكرية، وحُكم عليه بالسجن ثلاث سنوات.

الإنجليز، كانت الصحافة تقول: إن الفلاحين يقفون معنا، وعندما يعبر الفلاحون عن مشاعرهم كانت تقول: إن الموظفين الحكوميين أوفياء لنا؛ وعندما أضرب الموظفون وألقى جميع من بمصر بأنفسهم فى خضم الحركة، كانت الصحافة تقول: «الهدوء يسود السودان».

مقابلة مع سعادة سعد زغلول باشا

ديلى هيرالد Daily Herald، ١٩ يونيو

ولكن عندما بدأت الحقيقة تتضح حول عمق الحركة، انتهى الإنجليز إلى القول إن ثورتنا قامت بتحريض من طرف الأتراك والألمان! ومن المفيد هنا أن نذكر كلمة صحيفة الناشيونال نيوز National News فى ١٨ مايو إذ تقول: «قدم سعد زغلول مطالبه، وتم نفيه. استقال رشدى، واندلعت الثورة. إن ما كان يمثل السلام والوفاء، فى (١٩١٥)، وسط النجاحات التركية قد انقلب إلى تمرد عام، فى (١٩١٩)، عندما ذهبت الإمبراطورية التركية أدراج الرياح وكل فرد فى الشرق يعلم هذا».

وقد حرصت الصحف الأخرى بشدة على إثبات اتهاماتها الدنيئة بذكر بعض التفاصيل، إلا أنه إذا كانت مواقف الصحف المتواطئة مع إنجلترا تعتبر شيئا خطيرا، فإن ما هو أخطر كان سلوك الجنود البريطانيين فى مصر. لقد اقترفت القوات الإنجليزية بالفعل فى هذا البلد أعمالا لا يمكن أن تشرف القضية الإنجليزية، بل على العكس تنال من شرفها، هذا إذا غضضنا الطرف عن ذلك المثل الأعلى الذى مات من أجله آلاف من البشر. لقد قتل الجنود البريطانيون بخسَّة المتظاهرين المسالمين **والمجردين من السلاح**، حتى أثناء المظاهرات العارمة بالفرحة والتى أثارها إطلاق سراح المنفيين. ولم ترحم مدافعهم ورشاشاتهم النساء والأطفال.

لقد وجه الضباط الإيطاليون بالقاهرة مذكرة احتجاج إلى المارشال ألِّبنى ضد الأعمال الوحشية التي شاهدوها، إلا أن المارشال، ورغم هذه الشهادة الدامغة، قرر إيقاف التحقيق الذى بدأ.

ونحن سعداء بأن نقدم هنا أيضا شهادة حاسمة للدكتور إيليسDr. Ellis:
فجأة، وفى خلال ساعة، تحولت سعادة الفرح غير المسبوق فى القاهرة إلى مجموعة رعاع شرسة وحاقدة من الرجال والنساء مصممين على الانتقام بقسوة.

عندما رأى المشاهدون من الإنجليز تلك الأفراح البريئة لأمة منتشية بالفرح بعد أن حصلت بأيدى المعتمد السامى البريطانى على منحة كانت تعتقد بأنها حق لها، وجَّه هؤلاء المشاهدون الإنجليز علانية نظرات الغضب والكلمات الجارحة، ويستطيع أى إنسان أن يدرك مدى رغبتهم فى توجيه مدافعهم نحو المتظاهرين.

لقد سمعت عشرات المرات فى فناء الفندقين الأوربيين الكبيرين وفى أماكن أخرى، من يعبر عن الفكرة نفسها التى لم تكن جديدة: «وددت توجيه المدافع ضدهم». وكانت النساء مثل الجنود تماما، يغذون هذه الفكرة الدموية.

إن هذا الجمهور السعيد والذى لا يخفى فرحته قد وصفوه دوما بالحيوانات والخنازير والقرود كما نعتوه بأنه لا يستحق الحياة.

«أخيرا، وعندما ترتفع حدة التوتر فى صفوف الجنود الإنجليز، يغيّرون وينساقون إلى أعمال عدائية تسفر عن مذابح جديدة، مما يحيل العيد السعيد إلى ساحة عنف».

لقد رأيت جنودًا يمزقون العلم المصرى إربًا، ويدوسونه قصدًا بأقدامهم. «ويقولون هذا تذكار».
وبدأ عصر جديد من الرعب...

«وفى هذا المساء سمعت فتاة شابة وفاتنة تقول بفرح لرفيق لها بأن ضابطًا شابًا كانت تعرفه «تصيَّد» أربعة «جيبسى» (من الغجر) بعد ظهر هذا اليوم»(١٦).

نيويورك هيرالد New York Herald، ٢٢ يونيو

(١٦) الحقيقة أن السلطات العسكرية الإنجليزية أعدت نوعا من اصطياد الإنسان. إنه اضطهاد حقيقى.

هذا السلوك الجبان كان هو القشة التى قصمت ظهر البعير، لقد لجأ المتظاهرون **المجردون من السلاح**، والذين تملأهم الشجاعة، والتضحية والثورة إلى انتزاع بعض البنادق بسرعة من رجال الشرطة وجمع الحجارة من أجل إقامة سواتر للدفاع عن أنفسهم فى مواجهة الرشاشات الإنجليزية. وذلك لكى يستطيعوا داخل أفقهم الوطنى الرائع إفشال القوة العسكرية الهائلة لبعض الوقت، تلك القوة التى أرسلتها إنجلترا لتجعل منها أداة للهيمنة.

وفى الثانى عشر من أبريل نشرت صحيفة لوماتان La Matin البرقية التالية فى الصفحة الأولى وتحت هذا العنوان:

ثورة مصر

الاضطرابات الشعبية فى القاهرة والإسكندرية وبورسعيد

إن الموقف خطير فى مصر، فالحركة الوطنية تنتصر، والسلطات البريطانية تجاوزها الحدث.

خلال أيام انتشرت الاضطرابات فى المراكز الكبرى، خاصة فى القاهرة وفى الإسكندرية وفى بورسعيد.

«يد سوداء» تبذر الرعب، فقد أشير كثيرا إلى وفيات غامضة، ووجد جنود موتى فى أماكن عملهم، كما خُطفت ممرضات إنجليزيات.

«طالب الثائرون برحيل الموظفين الأوربيين، وبجلاء الإنجليز وبتأسيس إمبراطورية إسلامية على رأسها خليفة فى القاهرة»

ولن نكون فى حاجة لرفض الفكرة الخيالية الأخيرة التى اختُتمت بها هذه البرقية؛ إلا أننا سنشير مع ذلك، إلى أن الشعب المصرى إذا ما كانت فى حوزته أسلحة، خلال انطلاقته التى لا تقهر، فلا شك فى أنه كان سيلقى فى البحر بهؤلاء المجرمين الدخلاء الذين يحتمون خلف آلاتهم العسكرية.

لقد أغرق الإنجليز البلاد كلها فى النار والدم، بذروا الحداد والخراب فى كل مكان، حرقوا قرانا، ودمروا ريفنا.

(من فظائع الاحتلال الإنجليزى)*

بعد الأتراك مر الإنجليز من هنا...**

وإليكم نص أحد المحاضر العديدة التى تحكى عن فظائع الإنجليز وتظلمات الضحايا:

محضر
الجلسة غير العادية التى عقدها المجلس المحلى بالجيزة
فى أبريل ١٩١٩

افتتحت الجلسة الساعة ١١,٣٠ صباحا، بمقر المديرية، تحت رئاسة صاحب السعادة أحمد حمدى بك سيف النصر مدير الجيزة ورئيس المجلس المحلى، وبحضور السادة الأعضاء فاضل الزمر بك، وعبد الواحد القط بك، وبيومى مدكور أفندى، وسيد دويدار أفندى، ومحمد منصور عطا الله أفندى، وأمين فهمى أحمد أفندى سكرتيرا. وقد اعتذر عن عدم الحضور سعد بك محرم. ويستهل معالى الرئيس الجلسة بهذه العبارات:

«أيها السادة،

بناءً على طلب كل من فاضل الزمر بك، وعبد الواحد القط، وأحمد المليجى بك وبيومى مدكور أفندى، أعضاء مجلسنا، وطبقا للفقرة الثانية من المادة ٤٩ من القانون المنظم لاجتماعات المجلس فقد طلبوا عقد جلسة غير عادية.

ووجهنا إليكم الدعوة للبت فيما سيقومون بعرضه عليكم».

---

* هذا العنوان من إضافتنا. (المراجعة اللغوية)

** يستخدم الكاتب هنا عبارة فكتور هوجو فى قصيدته «الشرقيات»، والتى قال فيها: «الأتراك مروا من هنا، فتحول كل شيء إلى خراب وحداد...». وهى العبارة التى كان يصف بها هوجو ما حدث فى حرب الاستقلال اليونانية، ويستعيرها الكاتب هنا لوصف ما قام به الإنجليز فى مصر. (المترجمان)

يأخذ الكلمة أحمد المليجى بك ويقول:

سيدى الرئيس،

السادة الأعضاء،

... إن الأحداث الأخيرة والمعروفة لنا جميعا كان سببها أن الشعب يعبر عن شعوره الوطنى.

لقد أراد البعض ببساطة أن يُسمعوا صوتهم، فاعتقدوا أنهم يعبرون عن مشاعرهم بكسرهم قضبان السكك الحديدية.

إلا أن التدمير قد توقف منذ إعلان الجنرال الذى هدد بفرض عقوبات رادعة(١٧). ولكن ألا توجد فى التشريعات الإلهية والوضعية، عقوبات أخرى غير عقوبات مصادرة الأموال، وحرق المنازل، والسرقة، كتلك التى طُبقت على شعبنا الذى اشتكى رسميًا إلى المديرية؟...

وأُمر بقراءة العريضة بالجلسة. وها هو نصها:

«وجه لنا بعض سكان مديريتنا، باعتبارنا مندوبى الأمة، شكاوى تخص الفظائع التى ارتكبت، ضد كل مبدأ إنسانى، وتجبرنا ما تمثله مواقعنا على دراستها ومخاطبة السلطات المسئولة.

فقد ارتكبت وحدات بريطانية فى وضح النهار وأثناء الليل تعديات بحق القرى... ونحن نطلب أن ترفع عريضتنا لجلالة السلطان، وإلى مختلف الأجهزة الرسمية بمصر، مقرونا بها أمنياتنا فى استقلال مصر التام، وأملنا فى إلغاء كل ما يعوق هذا الهدف الوطنى».

ويأخذ صاحب السعادة الرئيس الكلمة.

«قررت سادتى أن أعترض بلا هوادة، حتى لو فقدت موقعى وراحتى».

---

(١٧) إنه إعلان القائد العام للقوات البريطانية، الذى هدد بأن السلطات العسكرية ستقوم بحرق القرى المجاورة لخطوط السكك الحديدية فى حالة تعرضها للتخريب (١٨ مارس).

وتمنى أحمد المليجى بك أن يرى قريبا تكذيبا لحكاية البيان الرسمى الشهير.

وأعلن محمد منصور عطا الله أفندى:

«وجد الأهالى بعد يومين من أحداث نزلة الشوبك جثث الضحايا ملقاة فى حقول القمح أو على سطح ماء القنوات...»

وأعلن فاضل بك الزمر أنه فى ليلة الأحداث، وبينما كان ينقل القطار الجماهير الفرحة برحيل وفدها إلى أوربا، أطلق بعض الإنجليز النار عليهم، وقتل شخصان. واستنكر بشدة تلك الجرائم البشعة التى تتكرر باستمرار. واستنكر عبد الواحد القط بك القبض على أهالى نزلة الشوبك والتمس من السيد الرئيس التدخل لإطلاق سراحهم، أخذا بالاعتبار أن ستة منهم قد قتلتهم القوات البريطانية رميا بالرصاص. كما استنكر أيضا الطريقة التى أعتمدت بها ميزانية (١٩١٩ ــ ١٩٢٠) رغم غياب أحد الوزراء خلال عدة أشهر[١٨].

وقد قرر المجلس بالإجماع وبعد المداولة، وطبقا للمادة ٣٦ من القانون الأساسى تبنى كل الشكاوى المصاغة فى المحضر وإبلاغ المحتوى لجلالة السلطان والأجهزة الرسمية فى مصر.

تمت قراءة المحضر وتم اعتماده بالإجماع فى الجلسة نفسها.

سيف النصر	**أ. ف. أحمد**
مدير الجيزة	**سكرتير المجلس**
ورئيس المجلس المحلى	

وإليكم التماسا آخر، وجهه مواطنو نزلة الشوبك (العياط) إلى السادة أعضاء المجلس المحلى بالجيزة:

أيها السادة،

(١٨) إنه الجنرال النبى الذى أخذ المبادرة، أثناء غياب الوزارة، ليحدد ميزانية سنة (١٩١٩).

وصل الإنجليز لدينا فى ٣٠ مارس (١٩١٩) الساعة الثالثة بعد الظهر على متن قطار مصفح.

ونزل جزء من جنودهم المسلحين بالبنادق.

وخوفًا من أن يحدثوا بنا ضررا، لم نتصدَّ لأىٍّ من أفعالهم. إلا أنهم لم يكتفوا بالسرقة، بل تجاوزوا ذلك لاغتصاب نسائنا.

تصوروا أيها السادة الأعضاء امرأة وهى تُغتصب وتستنجد بزوجها فتراه يُقتل بلا رحمة، تصوروا حينئذ القرية التى يحاصرها الجنود الإنجليز الذين أشعلوا النار فى كل مكان فيها، وأطلقوا النار على كل من حاول الهروب من الحريق، تصوروا هذه المذبحة الرهيبة وهذه الجرائم الفظيعة التى استمرت ليلة بأكملها حتى صباح اليوم التالى.

أى ضمير هذا الذى لا يثور عندما يعلم أن الإنجليز قد أتوا بشيخ القرية وشقيقه وابنه واثنين آخرين من الفلاحين بحجة مفاوضتهم، فإذا بهم يدفنونهم حتى الصدر، ويطلقون عليهم النار، ويشوهون وجوههم فيما بعد بأسناك بنادقهم!

السادة النواب المحترمين،

استمر الحريق حتى ظهر اليوم التالى وتهدم ١٤٤ منزلا (القرية كلها لم يكن بها سوى ٢٠٠ منزل)، وقتل ٢١ فردا، وجرح اثنان، وحرق عدد كبير من الماشية، إضافة إلى سرقة الأموال والحلى، وتدمير الملابس والأثاث.

"كونوا إذن شُهداء على مصائبنا أمام الله وأمام الضمير وأمام العدل".

فى ٧ أبريل (١٩١٩)

محمد أحمد جمعة،

عبد اللطيف أبو المجد،

عبد الحليم أبو طلبة

وفى نفس هذه القرية، نزلة الشوبك، قتل الجنود الإنجليز طفلا فى السنة الأولى من عمره واغتصبوا عددا من النساء. «يقول أحد الأهالى، لقد تحملنا كل شيء، إلا أننا لا نستطيع رؤية نسائنا تُغتصب. إن ذلك لا يمكن تحمله».

وحرق الجنود الإنجليز أيضا قرى العزيزية، والبدرشين، وشبنات.

ودخلوا كفر مسعد وكفر الحجة، واستدعوا الذكور من الأهالى وحكموا بجلدهم على بطونهم وظهورهم. ما هى التهمة؟ لقد كانت طلقة نار أُطلقت على دورية بريطانية وهى تمر قريبا من هذه القرى.

بالتأكيد كان نيرون أقل قسوة!

وإضافة إلى ذلك، حُرقت النساء وهن أحياء فى منازلهن؛ وجُلد أعيان وفلاحون وطلاب بعد أن دُفنوا حتى وسطهم. وأمام هذا التفنن فى القسوة استقال عُمد مديرية الغربية بشكل جماعى لكى «لا يخدموا ــ كما قالوا ــ حكومة كهذه». وقد فعل الشيء نفسه مدير الجيزة، وأغلب عُمد المنوفية.

وقد أعلن السيد هارمسورث Harmsworth وكيل وزارة الشئون الخارجية فى ٢٥ يوليو بمجلس العموم محصلة القمع:

تكبد الجيش الإنجليزى ٢٩ قتيلاً و١١٤ جريحًا، والشعب المصرى ٨٠٠ قتيلاً و١٦٠٠ جريحًا وينبغى ملاحظة أن المحصلة هنا هى للضحايا الذين سقطوا فحسب خلال المرحلة الأولى للثورة.

تُرى ما هو التعليق على قرار السلطات العسكرية الذى نص على أن كل مصرى أيا كان موقعه الاجتماعى، عليه تحية الضباط الإنجليز أثناء مرورهم، وإلا سيكون معرضًا لدفع غرامة كبيرة ويقع تحت طائلة قانون الأحكام العرفية؟

لقد ترك العمل كل من القضاة وأعضاء النيابة وموظفين آخرين بمحكمة قنا، لكى، « يحفظوا كرامتهم ــ كما قالوا فى التماس وجهوه إلى

رئيس المحكمة ــ وكانوا قد اقتنعوا بأنهم مجبرون على ألا يتركوا منازلهم». وفي خلال محادثة تمت بين رئيس المحكمة والقائد البريطاني اقترح الأخير أن على الضباط الإنجليز أن يبدءوا بتحية كبار الموظفين وأن على هؤلاء رد التحية ؛ ولكن يبقى الأمر على ما هو عليه بالنسبة للطبقات الشعبية الأخرى. ويقول رئيس المحكمة بدوره «إن هذا الحل قد أُرسل بخطاب إلى الوزارة، إلا أنه قد رُفض بالإجماع **لأنه كان من الممكن أن يخلق تمييزا بين شريحة صغيرة وغالبية الأمة الواحدة التي لا تتجزأ».**

وإذا ما كانت الثورة تمثل حصيلة عدم الرضا، فمن الأوفق أن نشير هنا إلى أن واحدًا من الأسباب الجدية لعدم رضا المصريين إنما كان تحديدًا ازدراءهم خاصة تحت الحماية، من قبل الموظفين والجنود الإنجليز.

فهؤلاء يملؤهم الزهو؛ لاعتقادهم في تفوق العرق الإنجلوسكسوني، ولا يريدون أبدًا الإحساس بمشاعر الأجناس التي يحكمونها ويحتقرونها.

إن المصريين، الذين يمكنهم أن يستمدوا أسبابًا مشروعة للفخر والتمرد على الحاضر، لا يمكنهم التواؤم مع تلك المعاملة. **المتمثلة في هذا العقل المتكبر الذي أُضيف إلى طبيعة شديدة القسوة، وهو ما يفسر جزئيا السلوك الخالي من الرحمة للجنود والضباط الإنجليز أثناء قمعهم.**

وهناك واقعة تفسر ما تبقى: لقد جعلت الحكومة الإنجليزية من الإرهاب **نظامًا**، لهدف بديهي وهو إنهاء الثورة في الدماء؛ إنه نظام جعل الفظائع التي ارتكبت على نطاق واسع، إذ لم تكن بفعل جنود منعزلين، ولكن بفعل فصائل بأكملها، وبأوامر من ضباطها، إنه نظام جاء رسميًا بفعل تشكيل المحاكم العسكرية، وإليكم تبعًا للتقارير الرسمية التي نشرتها الجرائد نموذجًا من هذه الأحكام:

نقرأ بجريدة «وادي النيل» بتاريخ ١٠ يونيو ١٩١٩، البلاغ الرسمي التالي الذي نشرته السلطات العسكرية البريطانية بمصر:

فاقوس: الأحداث التى وقعت فى ١٥ إلى ٢١ مارس: حُكم على على سليمان بك بالإعدام مع ستة من أصدقائه لأنهم قاموا بفك خطوط السكك الحديدية بالمحطة، وكان جميعهم من أعيان مدينة فاقوس. إلا أن الجنرال الإنجليزى للوحدة ٢٣ قد خفف الحكم بالأشغال الشاقة المؤبدة للأول وأربعة عشر عاما للآخرين.

أسيوط: حُكم على مصطفى فيروز بـ ٤٠ جلدة، وثمانية أعوام من الأشغال الشاقة لقيادته للمتظاهرين يوم ٢٣ مايو.

أبو قرقاص: حُكم على على محمد أديس وهو أستاذ مبرِّز، بالأشغال الشاقة المؤبدة لأنه ألقى خطابا يوم ١٦ مايو.

المنصورة: حُكم على عبد العليم إبراهيم عمدة المنصورة (ثالث أكبر مدينة فى مصر) بخمس سنوات أشغال شاقة وتغريمه ٢٥٠٠ فرنك وذلك لأنه صرح بالتظاهر بين ١٥و ٢٠ مايو.

وحُكم على مائتين من أهالى هذه المدينة بالسجن من سنتين إلى ثلاث سنوات. وإجمالا كانت هناك أحكام خمسمائة وسبعين عاما من السجن قد وُزعت فى جلسة واحدة.

الإسكندرية: حُكم على رئيس وسكرتير جمعية العاملين بالإسكندرية بسنتين وتغريمهما ٢٥٠٠ فرنك.

القاهرة: حُكم على أحمد عاشور بالإعدام شنقا لتنظيمه مظاهرة لرجال الشرطة، وحُكم على أحمد مصطفى بخمس سنوات أشغال شاقة لجمعه أموالا فى الفترة من ١١ إلى ٢٠ أبريل لصالح جماعة «اليد السوداء» الثورية، كما حُكم على على رفعت المزانى بخمس سنوات أشغال شاقة وذلك لإلقائه خطبة تحدث فيها عن الحرية والاستقلال.

طنطا: حُكم على خمسة أشخاص بسبع سنوات أشغال شاقة وجلدهم بخمسة عشر سوطًا، وذلك لأنهم عطلوا حركة القطارات العادية بالتظاهر.

وأعلن مكتب الصحافة البيان التالى:

القاهرة فى ١٥ يونيو

بعد إنهاء القاضى العسكرى أكيكوت Akicout التحقيقات، أعلن المجلس العسكرى حكمه على نجيب سرى بخمسة عشرة عامًا أشغالاً شاقة بتهمة الخيانة العظمى وذلك لتنظيمه إحدى المظاهرات(١٩). ومن حيثيات الحكم أن هذا المصرى كان من واجبه أن يمنع مثل هذه الحركة من الجماهير، لأنه كان محل ثقة مدير الأمن.

الإسكندرية: حُكم على مرسال ريحان بخمسة عشر عامًا من الأشغال الشاقة لاتهامه بمحاولة الاعتداء على ضابط إنجليزى. وأفاد الحكم أنه لم يكن لدى المصرى أى سلاح، باستثناء عصا عادية يبلغ قطرها ٨ مم.

وأعلن مكتب الصحافة بالقاهرة فى ٢٠ يونيو:

ردا على أعمال الثورة فرضت السلطات العسكرية البريطانية الغرامات التالية:

«على الدلتا مبلغ ١٠٤٠٨ جنيه إسترلينى؛ علاوة على مبلغ ٤٨٩٣ جنيه إسترلينى كغرامة إضافية. كما فرض على الأقاليم الثلاثة: الجيزة، وبنى سويف والفيوم مبلغ ٤١٠٢٠ جنيه إسترلينى. وفرض على المراكز فيما بين بنى سويف، وأبو تيج مبلغ ١٢٨٠٣٤ جنيه إسترلينى بإجمالى ١٨٤٣٥٠ جنيه إسترلينى.

بلاغ رسمى من المجلس العسكرى بخصوص أحداث ديروط.

فُتحت التحقيقات فى ١٧ مايو ضد الثوار من هذه البلدة وأُغلقت فى ١٩ يونيو.

---

(١٩) الخيانة ضد من؟ هل هى ضد إنجلترا؟ نستطيع أن نؤكد أن الديمقراطية العظمى والحليفة قد تجاوزت هنا الحدود.

طالب الدفاع بسماع ١٥٥ شاهدًا. وأعلنت المحكمة ٥١ حكمًا بالإعدام شنقا و ٥ بالسجن.

عزل وزير داخلية مصر عُمد القرى الذين شاركوا فى الحركات الثورية.

وتبدأ القائمة بعُمد شبانة، وكيشا، وكفر أباظة، وفارسكور... إلخ.

ولكن هل كل هذا الخواء والحداد استطاع أن يغلب غاية الأمة المصرية أو أن يلقي باليأس في روحها؟ كلا، لقد أجابت الأحداث على ذلك. وإليكم حديثًا لرئيس الوزراء غير الشعبى محمد سعيد، نشرته جريدة لوتان Le Temps بتاريخ ٢١ يوليو:

«لا أجهل أن وزارتى قد هوجمت بعنف. ووجهت لى وزملائى تهديدات مباشرة بشكل يومى، وتعلمون حتى إن طلقات النار قد أُطلقت فى واحدة من هذه الليالى على شرفتى. **لقد كانت الفتنة شديدة للغاية ولا يمكن لها أن تهدأ فجأة**».

فى غضون ذلك، أُلغيت الرقابة فى ٢٣ يونيو، إلا أنه كان على الجرائد الالتزام بالشروط الآتية المذكورة فى المنشور الدورى الطويل الذى وُجه للصحافة:

١- يُمنع نشر مقالات ثورية أو أية مواد يمكن أن تدفع إلى الثورة، سواء بطرق مباشرة أم غير مباشرة...

٢- يُمنع نشر أى مقال يومئ بعدم الاعتراف بالوضع السياسى القائم...

٣- يُمنع الإيماء إلى التعليمات الحالية والرقابة المؤقتة التى كانت تمارس فيما قبل هذه التعليمات.

وعلينا أن نرى الآن ما إذا كانت الفتنة الشديدة للغاية سوف تهدأ كما كان يتوقع الوزير سعيد فى شهر يونيو. هاهو المراسل الخاص لجريدة لوتان Le Temps يكتب من لندن فى ٣ سبتمبر، أى بعد ستة أشهر من اندلاع الثورة: «يبدو أن فتنة ما قد عادت إلى مصر. عُلم من القاهرة للديلى ميل Daily Mail أن سعد زغلول باشا رئيس الوفد الوطنى فى باريس قد أبرق إلى القاهرة بأن مجلس الشئون الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى كان قد أعلن استقلال مصر.

لقد نُشر هذا النبأ المزعوم فى الحال وكان سببا فى انفعال عظيم.

«وتجددت المظاهرات الأحد فى القاهرة والإسكندرية»

وأبرق مراسل الديلى إكسبريس Daily Express من جانبه بأن «صوت الصحافة المحلية أصبح أكثر تغطرسا وأن الموقف أصبح من جديد ينذر بالخطر. وأُمر الجنود البريطانيون بعدم الخروج من ثكناتهم إلا وهم مسلحون».

وتقول جريدة لاجلوب Le Globe اللندنية فى التاريخ نفسه:

عاد الوطنيون فى مصر من جديد إلى العمل ويسمع صدى الهتاف القديم. «مصر للمصريين!» فى القاهرة.

وفى ٢٣ أكتوبر، تلقت جريدة لوتان Le Temps من لندن البرقية التالية:

«أبرق مراسل جريدة التايمز Times بالقاهرة بأن كل الدلائل تشير إلى مرحلة جديدة من الاضطرابات. حتى إنه قد أُشير إلى عديد من المظاهرات فى الأقاليم، وقد كانت واحدة منها أكثر أهمية من تلك التى حدثت فى الإسكندرية فى ١٧ أكتوبر. وجاب المتظاهرون شوارع المدينة وهم يهتفون «تسقط لجنة ملنر!» «ويحيا الاستقلال» وعلى الرغم من الآلام التى عاناها

الشعب، إلا أن المظاهرات عادت إلى الاندلاع بعفوية الروح الشعبية، وهو دليل قاطع على أنه بدلا من أن تقبل مصر وهى صاغرة هيمنة أجنبية، التجأت لهذه الصيغة المحددة: الاستقلال أو الموت».

«فى عام (١٨٨٢) كانت مصر كالطفل فى حاجة إلى لسعات السياط لتطيع الأوامر؛ إلا أنها فى عام (١٩١٩) كانت قد تمثلت الأفكار الأوربية، ولم تعد تقبل أن تتلقى لسعات السياط»

ديلى نيوز Daily News، فى ٣٠ أبريل

حتى فى عام ١٨٨٢، أثبتت مصر بثورتها الأولى، أنها لم تكن طفلا وأنها كانت تريد أن تكون سيدة مصيرها. لن نعود هنا لبرلمان الجمهورية لنقول إن هؤلاء الناس غير قادرين على أن يتحرروا وأنه لا توجد لدينا واجبات أخرى تجاههم غير أن نسوسهم «بالكرباج» و «العصا».

خطاب الرئيس كليمنصو Clemenceau
فى ١٩ يوليو ١٨٨٢

ولكن كيف كان مؤتمر السلام وسط كل هذه الأحداث؟ بمجرد وصول وفدنا إلى باريس كان الرئيس ويلسون يعترف بالحماية الإنجليزية المعلنة بشكل غير شرعى على مصر. وفرض المؤتمر على ألمانيا الاعتراف بتلك الحماية[٢٠] ومن أجل أن تحتفظ إنجلترا بحمايتها كانت مجبرة على أن تحتفظ هناك بمائة وخمسين ألف رجل، والحكم على مصر بعبودية دائمة مما «أجبر مصر، حسب كلمة النائب جود Goude أن تسلك الطريق الوحيد الذى تبقى لها: الثورة».

(٢٠) انظر إلى المادة ١٤٧ من معاهدة فرساى.

وتكتب صحيفة الديلى إكسبريس Daily Express فى ٢٤ مايو: بوصول المصريين لهذه النتيجة، فإن الوفد الوطنى فى باريس لم يعد قادرًا على تحقيق الآمال العظيمة التى كان يرجوها.

وأضحت الفكرة المهيمنة على ملاحظاتهم هى: «**علينا الاعتماد على أنفسنا**».

نعم، إن مصر مثلها مثل إيطاليا بالأمس لا تحتاج أحدًا !Fara da se*

فلا المدافع، ولا الرشاشات الإنجليزية، ولا اعتراف الرئيس ويلسون بالحماية يمكن أن يحيدا بمصر قيد أنملة عن هدفها السامى فى الاستقلال.

إن مصر ستعتمد على نفسها. هذه هى الصيغة التى جعلت المصريين يبدأون بالرغم من كل العقبات الإنجليزية فى تسطير برنامج واسع للتحرر: فنظموا مئات النقابات العمالية، وعددًا من الجمعيات التعاونية الزراعية. «وأسسوا بنكا وطنيا؛ ويفكرون أيضا فى إنشاء شركات مصرية للملاحة البحرية. كما أن الصناعة والزراعة وهما عاملان محرران بامتياز، قد توسعا بشكل غير متوقع ووجدا مناصرين كانوا حتى هذه اللحظة مجهولين. وها هى المصانع والورش تنشأ تقريبا فى كل مكان، وهناك تفكير فى تصدير ما تخصصت البلاد فى إنتاجه».

صحيفة ليجيبت L'Egypte

فى ١٠ أكتوبر

إن الملامح الأكثر بروزًا لروح مصر الجديدة كانت تتمثل تحديدًا فى الثقة بالنفس وحب التضحية وهما ما كان يميز روح النخبة، وروح شعب عظيم، ومن خلال هذين الملمحين المهيمنين تبدت هذه الروح الصافية كالماء الفرات، الخالى من كل الشوائب التى تعلق بقلب الروح الإنسانية. ويبدو أنها

* تعنى هذه الكلمة بالإيطالية — والتى أطلقها الملك فيكتور إيمانويل أحد زعماء الاتحاد الإيطالى فى وجه النمسا — أن إيطاليا لا تحتاج أحدًا. (المترجمان)

لم تعد قادرة إلا على الفضائل؛ **ذلك لأن هذه الروح كانت تشرئبب إلى مثل أعلى، جعلها تحقق هذه الدرجة من السمو**؛ لقد تطهرت بسموها، وارتقت إلى درجة النبل. ويمكننا الآن أن نفهم عبارة فلوبير Flaubert: «المثل الأعلى مثله كالشمس يطهر كل أدران الأرض».

وبدلاً من أن تستمع إنجلترا لصوت العقل وتجلو عن البلاد التى ليست Res Nullius أرضًا بلا مالك*، وبدلاً من أن تدشن فى مصر عصرًا جديدًا من السلام والحرية آثرت «تدشين عصر من القتل والمذابح لكى تسحق القوى التى كانت تعمل من أجل الاستقلال». (بوراه Borah)

أين ذهبت الالتزامات الرسمية لإنجلترا، وتصريحات رجال دولتها، تلك التصريحات التى أعلنت أكثر من سبعين مرة بين سنوات (١٨٧٣) (٩ سنوات قبل الاحتلال) و (١٩٠٨)؟ وإذا ما كان هذا لا يريحهم، فإننا مع ذلك سوف نذكرهم بتلك التصريحات:

«سوف تذهب إنجلترا إلى مصر بنية صافية، ودون أغراض سرية» جلاد ستون Gladstone (١٨٨٢).

«لن أضيع وقتى فى تكذيب النوايا التى تفترض أن الحكومة تريد بسط الحماية على مصر إلى الأبد. إن هذا بمثابة أن نسبب حسرات مريرة لأحفادنا وكأننا نذهب لنؤسس أيرلندا جديدة فى الشرق.»

شامبرلين Chamberlain

١٩ ديسمبر ١٨٨٢

«إن حكومة صاحبة الجلالة، وتمسكًا بالتزاماتها السابقة وبقواعد حقوق الشعوب لا تعتقد أنها تستطيع وضع مصر تحت حمايتها.»

سابيسبرى Sapisbury ١٨٨٧

---

* يستخدم الكاتب هنا العبارة اللاتينية Res Nullius وهى تعنى أرضًا بلا مالك. (المترجمان)

«لن نستطيع البقاء إلى ما لانهاية فى مصر دون أن ننتهك التزاماتنا الأكثر رسمية، وتصبح صورتنا موضع احتقار أوربا» .

السير هنرى بانيرمان Sir Henry Bannerman، ١٨٩٤

ولكن عندما نذكر الإنجليز بهذه التصريحات وبمعاهدة لندن التى وقعت عليها إنجلترا يحدثوننا عن إصلاحاتهم ومهمتهم الحضارية. حسنًا إليكم حصيلة سبعة وثلاثين عامًا من الاحتلال الإنجليزى.

ولنتذكر أولاً أن الحضارة ليست بجديدة علينا. فمصر كانت تسير بخطوات عملاقة فى طريق التقدم منذ بداية القرن التاسع عشر. وكان محمد على هو أول من أخذ بيدها فى هذا الطريق. ومن بعده «جاء إسماعيل ــ أحد خلفائه (١٨٦٣ - ١٨٧٩) ــ فأقام وحقق خطة واسعة من الإصلاحات التى جعلت من مصر «قطعة من أوربا».

ولنذكر على سبيل المثال، إنشاء متحف المصريات، والمرصد، والجمعيات العلمية، ومدارس البنات... إلخ. حتى إنه وهب مصر برلمانًا فى عام ١٨٦٦. وفى عام ١٨٦٧ كتبت جريدة التايمز Times تقول إن مصر مثال رائع للتقدم. إنها أنجزت من التقدم فى سبعين عامًا، ما كانت قد أنجزته بلدان عديدة فى خمسمائة عام». إلا أن إنجلترا لكى تخلط الأمور استغلت إسراف إسماعيل بإقراضه بنسبة فوائد ربوية ولا إنسانية وصلت إلى ٤٠٠%(!) وقد أتاحت هذه الديون لبعض القوى وعلى الأخص لإنجلترا حجة التدخل فى الشئون الداخلية لمصر. واندلعت الثورة الوطنية والليبرالية فى عام ١٨٨١-١٨٨٢ بفعل عدم الرضا الذى خلقه التدخل الأجنبى، واستغلت إنجلترا هذا الموقف لتحتل البلاد عسكريًا. وما الذى حدث بعد ذلك؟

ألغى برلماننا، وبالمثل أسطولنا التجارى الذى كانت سفنه تخدم سوريا

واليونان، وتؤمن الخدمة بين القسطنطينية والإسكندرية[٢١]، وأغلقت مصانعنا ومصانع نسيجنا، وأساطيلنا. وأصبحت مصر خاضعة اقتصاديا للصناعة الإنجليزية.

لقد قال اللورد كرومر Lord Cromer في أحد تقاريره: «يبدو الاختلاف جليًا لمن ينظر فى الحالة الراهنة بالمقارنة مع الحالة منذ خمسة عشر عامًا. فالشوارع التى كانت تعج بأصحاب الصناعات والمهن: غزالين، ونساجين، وقياطين، وصباغين، وإسكافيين، وصُنّاع حُلى، وعقادين، ومبيضى نحاس، وصنّاع القرب والمناخل، وسراجين، وحدادين... إلخ، أقيمت على أنقاضها المقاهى والحوانيت التى اكتظت بالبضائع الأوربية!»

إلا أن اللورد كرومر حرص على ألا يشرح سبب احتضار الصناعة المصرية. حسنا! سنأخذ نحن مهمة أن نشرح له ذلك. ففى مجال الصناعة، كما فى كل المجالات الأخرى يكمن السبب فى سياسة الخنق المنظمة: سياسة الاستغلال والعبودية التى تنتهجها إنجلترا. ولنأخذ مثالا من ألف مثال، فعندما أُنشئت أول شركة نسيج فرض على إنتاجها ضريبة إنتاج تعادل الرسم الجمركى المفروض على السلع المستوردة من إنجلترا، وهو ما أدى إلى خراب المشروع.

وردا على الانتقادات التى أثارها هذا الإجراء فى البلاد قالت التايمز Times: «لا يمكن أن ننتظر من ممثل للمملكة أن يساند مشروعًا يجنى المستهلكون المصريون أرباحه. على حساب أصحاب المصانع الإنجليزية.» ولعل فى تلك الكلمة وحدها وفى حد ذاتها تنطوى إدانة لكل النظام السياسى المفروض من تجار لندن على الشعب المصرى. كما أن الميزانيات التى أهدرت على السودان كلفت مصر فى عشر سنوات أكثر من ١٨ مليون جنيه إسترلينى ولم تكن ببساطة إلا سوقًا بريطانيًا. وتم صرف واحد فى المائة فقط

(٢١) تم بيع هذا الأسطول إلى نقابة إنجليزية بسعر ١٥٠٠٠٠ جنيه إسترلينى، فى الوقت الذى كانت قيمته تقدر بملايين وملايين من الفرنكات. «وتعبيرًا عن الرضا العميق للشركة البحرية الجديدة (الدرسون) Alderson قدمت فورا مبلغ ٢٥٠٠٠ فرنك لملجأ البحارة بالإسكندرية. وكان ذلك هو عملهم الإنسانى!» (لوتان Le Temps).

من الدخل على التعليم العام. وما أكثر ما تحدث اللورد كرومر في تقاريره **عن ضرورة عدم تنمية التعليم سريعا، لتفادى تفتق الأفكار شديدة التقدم.** ولولا مبادرة الأمة التى أسست بنفسها وعن طريق المساهمات جامعة ومدارس، وأرسلت بالمئات من أبنائها إلى أوربا، لافتقدت البلاد نخبة كافية، قادرة على إدارتها ورفع مستواها الفكرى. إن ما قامت به إنجلترا فى مصر يدخل في نطاق ما يتسم بالمادية والرفاهية البازخة. لكنها تبدو كواجهة جميلة تخفى باطناً محزناً! ولنتحدث الآن عن «الرخاء الهائل» الذى نشرته إنجلترا في وادى النيل، إنه شيء مثير للسخرية! ذلك أن ما استهدف التقدم والحضارة فى حقيقة الأمر إنما بدأ مع محمد على واستمر تحت حكم خلفائه، ولم توقفه إنجلترا فحسب، بل إنها عرقلته ودمرته جزئيا. وبالإضافة إلى ذلك فإنه حتى الجرائد الأكثر محافظة لم تستطع خلال الأحداث الأخيرة أن تخفى إفلاس النظام الإنجليزى. «إن السياسة المصرية لم تؤخذ بعين الاعتبار، واكتفى الرأى العام (الإنجليزى) باعتماده على التقارير(٢٢) المتفائلة التى تخص الرخاء المادى».

جريدة مورننج بوست Morning Post، ٩ أبريل

وها هو رأى جريدة التايمز الآن بضرورة تغيير كل الإطارات الإدارية من القاعدة للقمة، إذ تقول: «ربما لدينا موظفون بريطانيون فى مصر أكثر من الحاجة، وكنا ندير هذا البلد بحماس أكثر أو أقل مما ينبغى».

وقالت مجلة ستر داى ريفيو Saturday Review أكثر من ذلك؛ إذ اعترفت بالطابع الوطنى للثورة: كان من الرائج فى إنجلترا التقليل لأقصى درجة من أهمية الانتفاضة الأخيرة فى مصر، عندما قدموها وكأنها تعود إلى طبقة محدودة من «العاطلين» المحبطين الذين يبحثون عن وظائف، ويؤيدهم

---

(٢٢) يرفع المندوب البريطانى فى مصر تقريرًا سنويًا للحالة التى عليها الأمور فى هذا البلد.

مهيجون غير مسئولين. لقد حان الوقت لكى ندرك أن هذا ليس صحيحًا، إنها ليست انتفاضة «عاطلين».

«لقد كانت ثورة فريدة التنظيم من كل طبقات المجتمع فـــى مصـــر؛ المسلمون والأقباط والفلاحون والباشوات والموظفون. إن السبب الذى جعلنا نشدد حراستنا على المراكز والسكك الحديدية وخطوط التلغراف فـــى كـــل امتداداتها، لم يكن الخوف من هجوم ثوريين محترفين، ولكن من أن الفـــلاح «محمد أحمد» كان يأتى بفأس ليدمر الإصلاحات التى تمت منـــذ ســـاعات قليلة».

وعندما علق السيد ألكسندر بيرار Alexandre Berard نائـــب رئـــيس مجلس الشيوخ على العبارة السابقة فى مقال شديد الأهمية قال: «لم تكن ثورة نظمها حزب سياسى أو طائفة دينية، بل كانت مطالبة علانية من كل عناصر الأمة بحقوقها، الطبقات الليبرالية، والأرستقراطية، والبرجوازية، والتجـــار، والفلاحون.

شارك فيها الرجال، والنساء، والأطفال منذ البداية فى ســـــنة ١٩١٩، ولم يهز القانون العسكرى الذى أعلنه الجنرال ألِّنبى Allenby تلك الحركـــة التى أخذت امتدادًا جديدًا فى كل يوم منذ ثمانية أشهر».

مجلة الحوليات الاستعمارية Les Annales Coloniales

٢٦ أغسطس

وتضيف مجلة سترداى ريفيو Saturday Review: «كيـــف يمكـــن أن نصل إلى هذه النتيجة بعد نصف قرن من الهيمنة الإنجليزية، إن قرونا مـــن القمع الذى مارسته قوة شرقية لم تستطع تحقيق ذلك، وهو أن تحيل جـــنس الفلاح الأكثر رضوخًا، والأكثر مسالمة فى العالم إلى حالـــة مـــن الثـــورة العنيفة؟»

لقد كانت تفسر ذلك بخروقات الهيمنة الإنجليزية!

إلا أن الماضى يعلمنا ضرورة الحذر من الاعترافات المتأخرة والأسف بعد فوات الأوان، لأن ثمة خلفية فكرية هنا: فالصحف الإنجليزية وهى تخلع على نفسها انطباعًا بالإخلاص والشفقة على مصيرنا، تريد أن تقنعنا الآن بأن الثورة المصرية قد أثارتها فقط خروقات الهيمنة الإنجليزية، أو على الأقل سياسة الخنق المنتظمة. إذن لا توجد هناك سوى وسيلة واحدة شديدة البساطة، وهى الإيحاء لنا بأن حل هذه المشكلة المثيرة للقلق: يأتى بدراسة الشكاوى وتحسين النظام الحالى. ومن أجل تحقيق ذلك سوف تذهب لجنة إنجليزية فى وقت قريب إلى مصر! كلا، إن المكيدة هنا شديدة الوضوح ولا يمكن الوقوع فيها(٢٣).

إن السيد بيرار Berard يرى فى المقال السابق ثمة شيئًا آخر غير أخطاء الإدارة الإنجليزية: «لقد كان هناك إعلان الحماية البريطانية والتمسك به فى حين أن الآمال فى الحرية والاستقلال كانت تظهر بجلاء أكثر فأكثر فى هذا البلد المرتبط بعمق شديد بتراثه، حيث لم تكن النخبة وحدها هى المتشبعة بالأفكار والمذاهب الفرنسية فى هذا الشعب الذى يبلغ تعداده ثلاثة عشر مليون نسمة».

إن الشعب المصرى، هذا الشعب شديد الطيبة، لم يثر فقط لأنه يئن تحت وطأة الظلم، ولكنه ثار أيضا لأنه كان لديه مثل أعلى فى الاستقلال والحرية. إن قوة هذا **المثل الأعلى** هى التى أثارت حميته وأعادت إليه طاقته الأولى. لقد وجدت أفكار الرئيس ويلسون التى ظهرت فى جو الحرب لدى هذا الشعب ــ صاحب الحضارة ذات النصف الشرقى والنصف الغربى ــ

---

(٢٣) كتبت الديلى جرافيك Le Daily Graphic فى ١٠ أكتوبر تقول: «العناصر الثورية فى مصر لا تريد بطبيعة الحال المساعدة بأية حال من الأحوال فى معالجة أسباب الإضرابات الأخيرة. فتعرضت لجنة اللورد ملنر Milner التى ستذهب قريبا إلى مصر إلى هجوم عنيف من قبل عديد من الجرائد المصرية، وعلى الأقل يوجد هناك احتمال يجعل الثوريين المصريين يقومون بجهد فى التوسع فى مقاطعة اللجنة بشكل جماعى عندما ستصل».

أرضًا مشجعة. لقد كانت شبيهة بأفكار الفلاسفة عشية الثورة الفرنسية، ركيزة عمل ثورى. ولكن علينا الاعتراف بأن أفكار الرئيس ويلسون لم تكن تستطيع أن تنبت وتعطى خلال بضعة أيام ذلك الحصاد الوفير الذى نراه اليوم، لولا أن الأرض المصرية كانت قد خصبت سلفا من قِبَل العبقرية الفرنسية. فمنذ حملة نابليون، وبفضل العلماء الفرنسيين ثم فى ظل محمد علي وسعيد وإسماعيل، وبفضل معاونيهم الفرنسيين والمصريين فإن أفكار الثورة، أفكار الحرية والمساواة تلك لم تتوقف عن الانتشار وأحيت هذه الأرض التى كانت قد بدت بالأمس ميتة. **لن نبالغ إذن عندما نقول إن الثورة المصرية هى ابنة الثورة الفرنسية.**

إن الاحتلال الإنجليزى الذى تعود أصوله إلى بداية القرن التاسع عشر، ليس غير جريمة مع سبق الإصرار ومنذ زمن طويل، وما يفعلونه إنما هو مطابق لمخططهم. ألم تقل التايمز Times عن مصر: «مستعمرتنا البريطانية»! وفى هذه العبارة تظهر الغطرسة البريطانية والمخطط الإجرامى لداونينج ستريت Downing Street* وإذا ما كانت إنجلترا تريد بالفعل تصحيح التجاوزات، فهاكم اثنتان منها؛ أولاهما **الإفراط فى استخدام القوة** وهى مصدر كل الشرور؛ فقد احتلت إنجلترا مصر سنة (١٨٨٢) عن طريق القوة المسلحة، ضد إرادة سكانها وبدون إعلان حالة الحرب. وأما ثانيهما فهى **خيانة الثقة:** فقد وعدت إنجلترا رسميا بالجلاء عن مصر، فور أن يعود النظام؛ وها هى أربعون عاما تمر! لقد أصبح النظام اليوم كله فى اضطراب، لكن من هو المخطئ؟ إنجلترا التى لم تحترم تعهداتها الرسمية التى وثق بها المصريون خاصة أثناء حرب العدالة.**

فلتكف إنجلترا عن سياسة الحلول الوسط! فالمصريون لن يقبلوا

* مقر رئاسة الوزراء البريطانية. (المترجمان)

** يقصد بها الحرب العالمية الأولى. (المترجمان)

المساومة على حرياتهم، وعلى الإنجليز أن يفهموا ذلك. إنه أمر عديم الجدوى فيما يقدمونه المرة تلو المرة من الوعد والوعيد؛ ذلك أن صورة الاستقلال ما إن بزغت مرة فإنها أبدا لن تختفى. وإضافة لذلك، فإن لدينا حقوقًا لا يمكن تجاهلها فى هذا الاستقلال:

١- حق طبيعى: هو حقوق كل الشعوب فى تقرير مصيرها.

٢- تاريخية: ذلك أن مصريى اليوم هم الأحفاد الأصليون للمصريين القدماء؛ ونتيجة لذلك فإن لهم حق الساكن الأول على البلاد. فأرض الفراعنة ليست أرضا بلا مالك.

٣- حقوق مكتسبة:

أ. معاهدة لندن (١٨٤٠ـ ١٨٤١) التى أعطت لمصر استقلالا داخليا كاملا.

ب. ما أعطته فرمانات أخرى لمصر بعد ذلك من بعض سيادة خارجية. فقد كانت مصر عشية الحرب شبه مستقلة.

ج. وعن طريق المساعدات التى قامت بها حيال الحلفاء أثناء الحرب وفى ظروف صعبة، كانت تستحق المكافأة وما على هذه المكافأة غير تأكيد وضع قائم مطابق لروح وحرفية القانون الدولى: الاستقلال.

٤- حقوق عملية:

أ. إن مصر، عن طريق ثروتها المشهورة، وعن طريق وحدتها العرقية وبتنظيمها السياسى والإدارى والاجتماعى، يمكنها أن تكتفى بذاتها، وملء دورها كاملة مستقلة.

ب. إن الأمة المصرية تطالب بحقوقها وحريتها المغتصبة، بهذه الطريقة شديدة الدلالة، عندما نهضت على قلب رجل واحد ضد

مضطهديها. وبالرغم من ذلك كله، فإن معاهدة السلام أنهت عبوديتها واعترفت بالحماية غير الشرعية، ولم تأخذ بعين الاعتبار إرادة الشعب المصرى. لقد حرمت بهذا الظلم الفادح لا من ثمار السلام فحسب، ولكنها سُلبت أيضا استقلالها الذى ضمنته معاهدة لندن، لتخرج من الحرب الشرعية* ذليلة ومستعبدة.

وأكثر من ذلك؛ فإن مؤتمر السلام قد استمع لقبائل عربية، بينما أغلق ـ هذا المؤتمر نفسه ـ أمام الوفد المصرى وصم آذانه عن دعوات الممثلين الشرعيين لهذا الشعب التعس. ففى اتفاقيته الأولى من يناير سنة (١٨٧٦)، المتعلقة بإقامة المحاكم المختلطة، وفى اتفاقية سنة (١٨٨٠) المتعلقة بقانون التصفية، وفى اتفاقية التاسع والعشرين من أكتوبر سنة (١٨٨٨) المتعلقة بحياد قناة السويس، فى كل هذه الاتفاقيات التى أعدتها القوى الأوربية كانت مصر تستشار، فيما عدا الاتفاقية الأخيرة، فقد كان لمصر وجودها بين الأطراف العليا للاتفاق. يقول وفدنا «ألم يكن من المدهش أن المجتمع الأوربى الذى لم يكن يتخلف عن الاستماع إلى مصر فى القرن التاسع عشر لإعداد المعاهدات التى تخص مشكلات أقل أهمية من ذلك هو نفسه الذى يصل فى القرن العشرين كى يرفض لمصر هذا الحق؟ وداخل مؤتمر تأسس تحديدا على مبدأ أن مصالح الأمم الصغرى هى أيضا مقدسة كمصالح الأمم الأكثر قوة؟» حقا.

إن هذا السلام لم يكن بحال بمستوى النصر الذى تحقق. إننا نفكر مثل الرئيس ويلسون Wilson لكننا نتصرف مثل ميترنيخ Metternich وبعيدًا عن الأخذ فى الاعتبار تلك الحقيقة الحية وحتى يكون أعضاء مؤتمر السلام فى مستوى عصرهم فإنهم لم يفعلوا سوى الاستمرار فى النظام السياسى القديم

---

* يقصد الحرب العالمية الأولى. (المترجمان)

الذى يقوم على التسويات والتنازلات بين المتنافسين والخصوم. رغم أن قرنًا من الزمان يفصل بين مؤتمر فرساى ومؤتمر فيينا إلا أنهما يتشابهان فى عديد من الوجوه.

فقد تم التخلى عن مصر وشعبها لإنجلترا وكأنهما شىء فى المساومة لا قيمة لهما، متناسين القواعد الأولية للعدل، إن مؤتمر السلام هو المسئول الأوحد عن **الدم المهدر** لأنه سلَّم مصر إلى مضطهديها دون دفاع. فمسئوليته إذن مؤكدة، ولسنا وحدنا الذين نقول ذلك: فالدكتور إليس Ellis الذى عاش فى مصر أثناء الثورة يكتب:

«لماذا هذه الثورة، هذه النكبة الدامية، هذا الغضب الأعمى ضد شعب جعل من مصر أرضا خصبة ومبتسمة؟[٢٤]

«ها هى الإجابة الحقيقية والمؤلمة: مؤتمر السلام هو المسئول». إن هذه الثورة الوطنية المصرية، وهى المشكلة الداخلية الأكثر خطورة التى واجهتها إنجلترا منذ انتفاضة سنة (١٨٨٢) ـ وحتى إذا لم نستثن التمرد الأيرلندى الخطير ـ إنما هى نتاج خاص لمؤتمر باريس.

«إن المد البشرى الهائج الآن حول العالم والذى يلتقى فى إليكه دورسيه (وزارة الخارجية الفرنسية) أثار المياه الراكدة فى حياة أرض الفراعنة فى أقصى عمقها، ودمر السدود التى كانت تفصل الشعب فى روافد ومصالح متفرقة. لقد ناصر الثائرون والمتظاهرون فى مسيرتهم مبادئ الرئيس ويلسون».

نيويورك هيرالد Newyork Herald، ٣١ مايو

إلا أننا لن نيأس فى حكمة رجال الدولة من الحلفاء. ففى مقابل نفاق لغة بعضهم المموهة للحق والعدل، سنفرض صراحتنا.

---

(٢٤) أخطأ د. إليس فى هذه النقطة مثل العديد من الآخرين الذين لم يروا مما فعله الإنجليز إلا الواجهة.

وهكذا! بدلا من الإمساك بمصر منحنية تحت نير دموى، ترفضه بكل قواها، من الأفضل لإنجلترا احترام التزاماتها وأن تعيد مصر للمصـــريين. إنها سوف تكسب بهذا تعاطف أربعة عشر مليون نسمة متمسكين باســتعادة استقلالهم وبعث ماضيهم التليد.

ومن ناحية أخرى، فمصر الحرة يمكنها الأخذ فى الاعتبــار مصـــالح إنجلترا. فبإرادة الوصول إلى اتفاق سوف يمكن للبلدين مسبقا تسوية مشــكلة قناة السويس ومشكلة القطن التى تهم الإمبراطورية البريطانية بخاصة. ومن المهم هنا أن نذكر إعلان رئيس الوفد المصرى سعادة سعد زغلول باشا فى هذا الصدد:

«لقد مثلت ضرورة حماية طريق الهند بتأمين العبور الحر فى قنـــاة السويس أكبر اعتراض للحكومة البريطانية.

ولا يمكن لنياتنا فى هذه النقطة إلا مواجهة اتفـــاق كـــونى، فقنـــاة السويس هى ملك لمصر، إلا أننا لا نرغب فى أن تكون سبب مأساتها. لذلك نحن مستعدون لقبول كل اقتراح سيُقدم لنا بشأن ضمانات حرية المـــرور. وسوف نوافق على الرحب، وبسرور أن نضع قناة السويس تحـــت رقابـــة وإدارة عصبة الأمم. إلا أن هذا يمكن ويجب أن يتم دون المســـاس علـــى الإطلاق بحريتنا.»

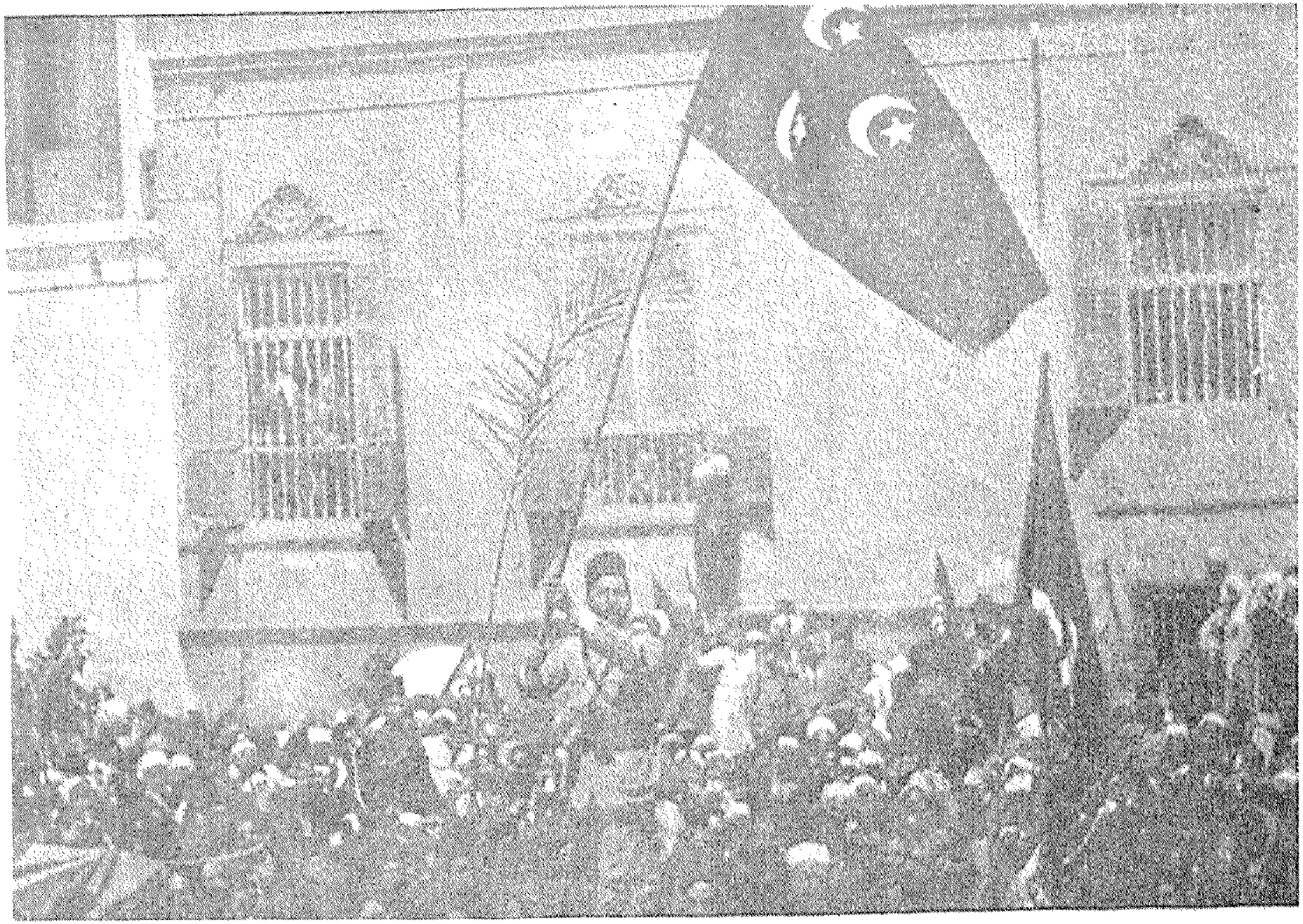
ليروب نوفيل L'Europe Nouvelle، ٢٦ أبريل

أما بالنسبة لمؤتمر السلام، وحتى لمصلحة السلام الدائم الـــذى يريـــد المؤتمر إقامته، فإننا نلزم أنفسنا بواجب التذكير بأن المصريين، وهم شديدو الفخر بماضيهم وبحاضرهم، كيف لهم أن يوافقوا بسهولة على هيمنة أجنبية مضحين بماضيهم؟ وقد كانت مصر مهد الحضارة؟ وبحاضرهم؟ ومصر هى البلد الأكثر حضارة فى الشرق وقد أعطت للعالم، فى انطلاق وطنى نزيـــه،

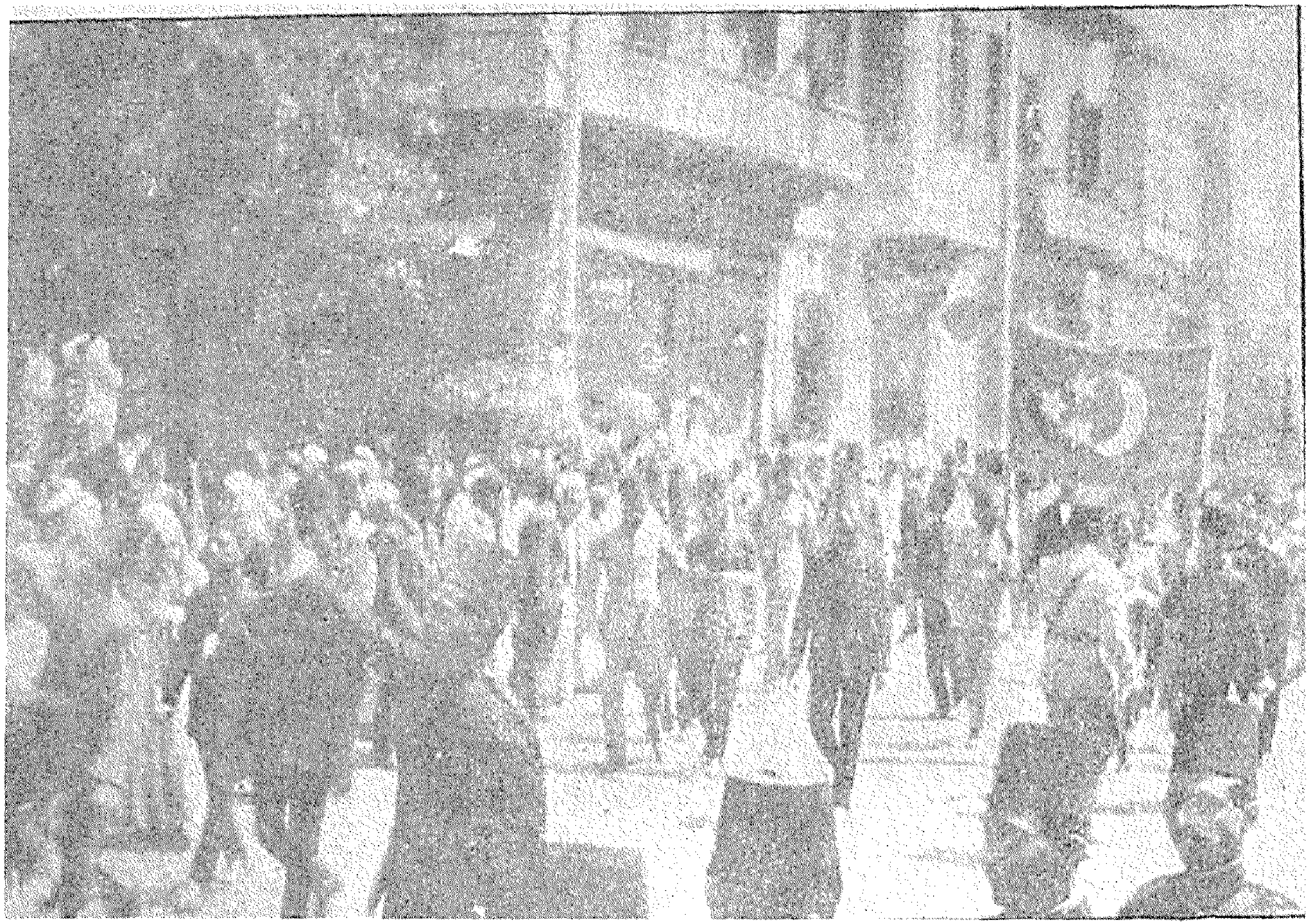
ذلك البرهان الذى لا يمكن إنكاره بأنها لم تمت، على الرغم من كـل هـذه الهيمنات الأجنبية التى تعاقبت عبر التاريخ، وأنها لا تريد المـوت. تقـول جريدة Le Temps حديثا: إن المسألة الشرقية التى ظلت بلا حـل، يمكنهـا تكدير السلام فى الغرب. وهذا حقيقى جدا، ولكن المســألة المصــرية هـى العنصر الأساسى للمسألة الشرقية. إذن ينبغى لحل المسألة الشرقية أن نحـل أولا المسألة المصرية. والاعتراف بالحماية البريطانية ليس وسيلة لحلها. إنها طريقة خطرة ــ على أية حال ــ وليس بالبحث عن حل شديد التبسيط يمكننا أن نصل إلى تجاوز الصعوبات. إن تسليم مصر مكتفــة الأيــدى والأقــدام لمضطهديها هو إرغام لها على نضال دون رحمة، لتكون فى ثورة دائمــة؛ وهو ما يعنى خلق بؤرة للاضطراب فى الشرق القابل للاشتعال؛ إنه تعريض للسلام فى الغرب للخطر. وهى حقيقة علينا أن نقولها وعلى رجال الدولــة الحلفاء ألا يتجاهلوها، كما أن عليهم أن يتحملوا مسئولياتهم.

(ملحق)

صور التقطت أثناء الثورة



- ضباط الجيش المصرى يقومون بحمل العلم
جمهور المتظاهرين.



- ضباط البوليس وطلبة المدرسة الحربية يتظاهرون.



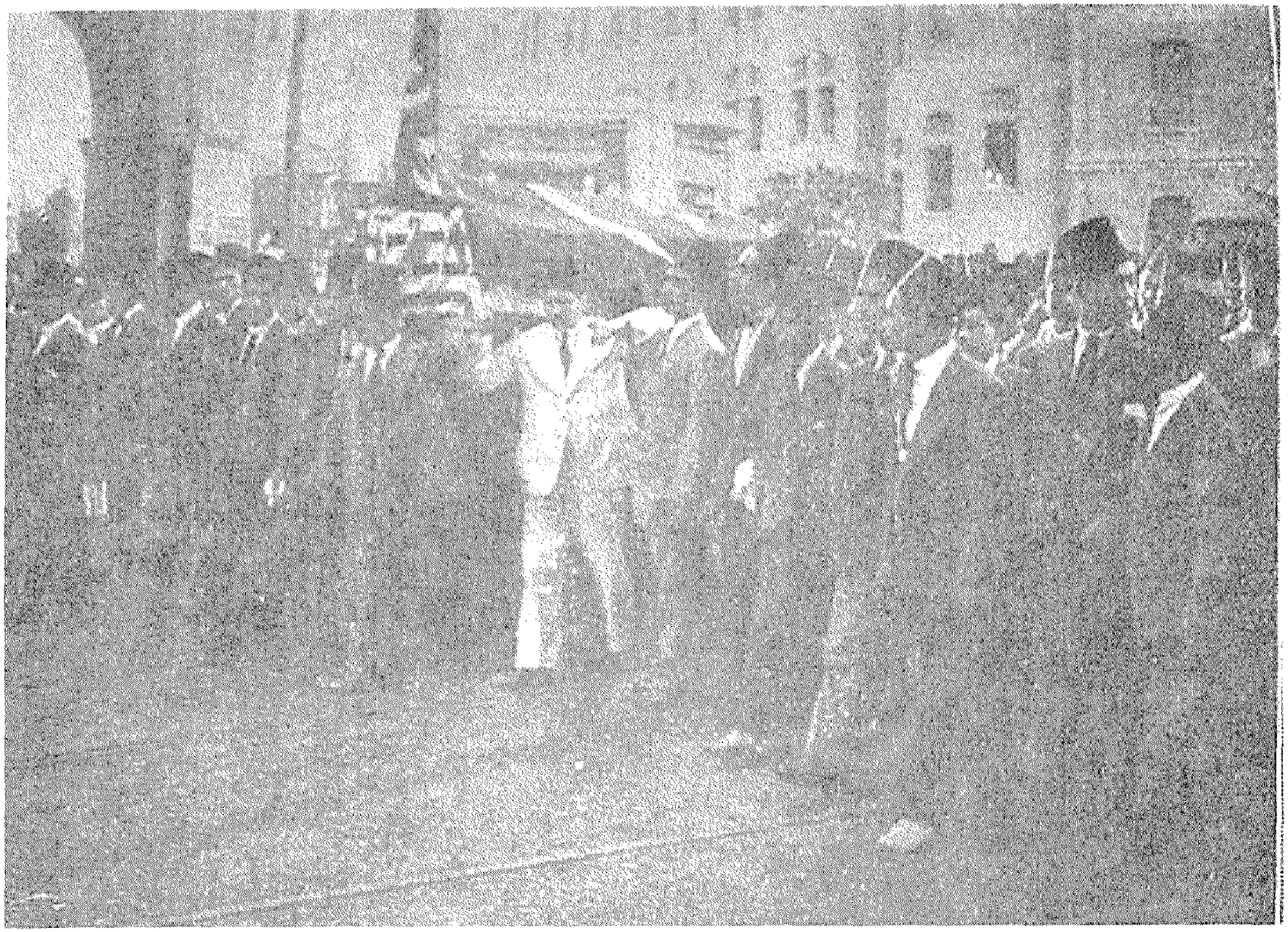
- طلبة جامعة الأزهر يتظاهرون بعلمين يحمل الأول كلمة "حرية"، ويحمل الآخر الصليب والهلال.



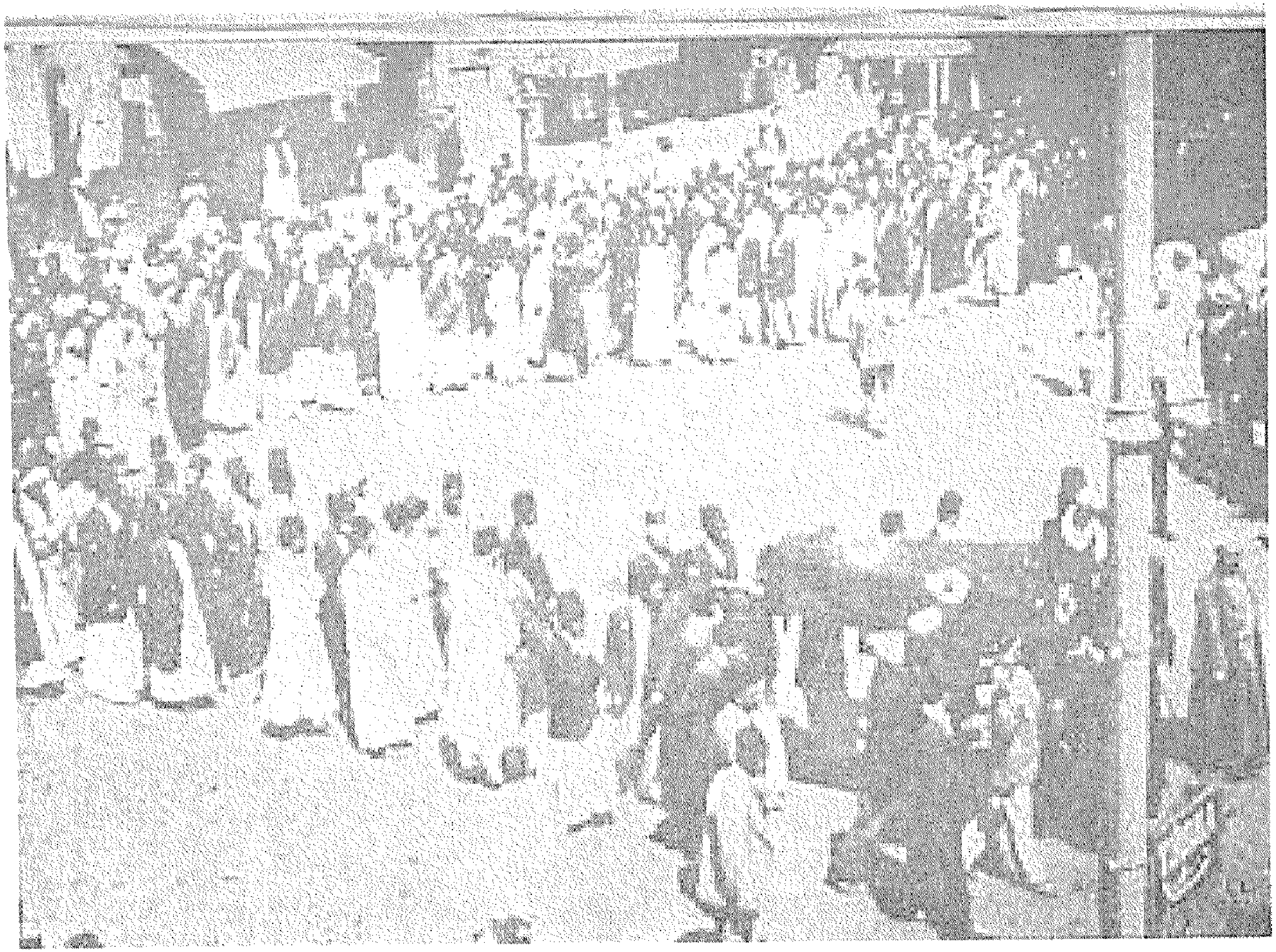
– مظاهرة النساء المصريات صُرِّح بها أولا وأُوقفت فيما بعد بالقوة المسلحة.



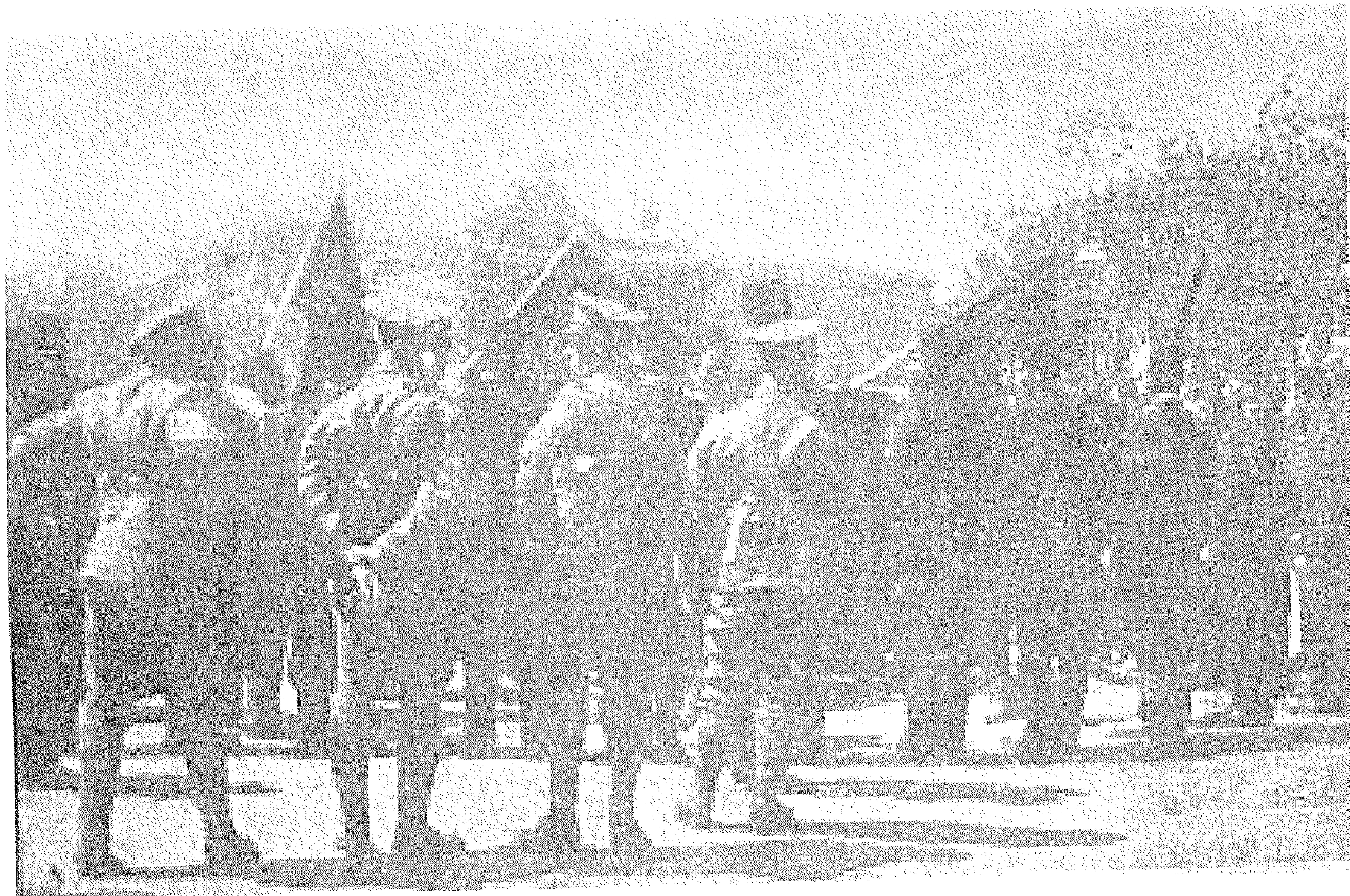
– ميدان عابدين أثناء انتفاضة ٩ أبريل (جريدة إليستراسيون، ٣ مارس Illustration).



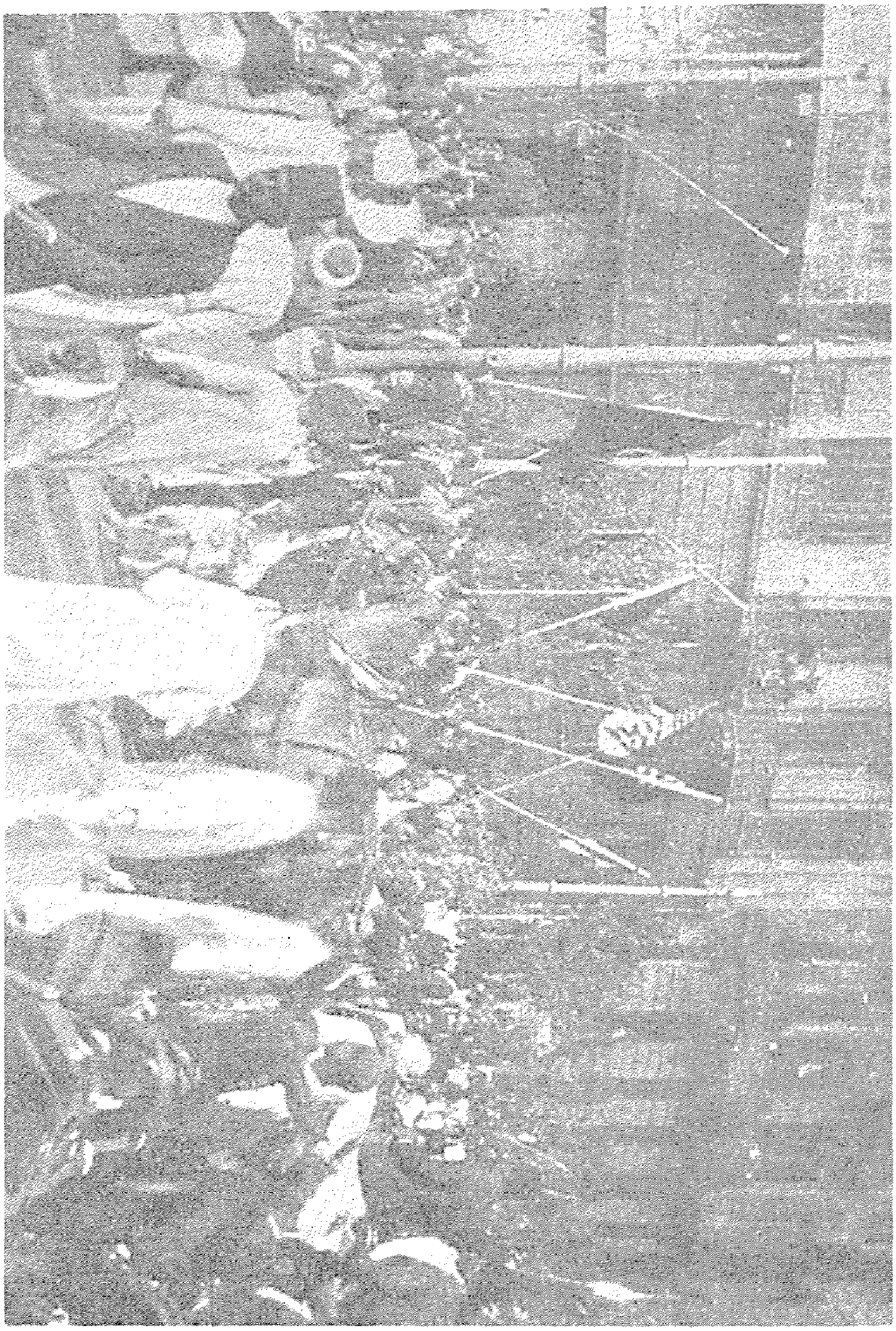
- نعش أحد الضحايا، ملفوفا بالعلم المصرى، يحمله الطلاب. (جريدة إليستراسيون، ٣ مايو Illustration).



- جنازات.



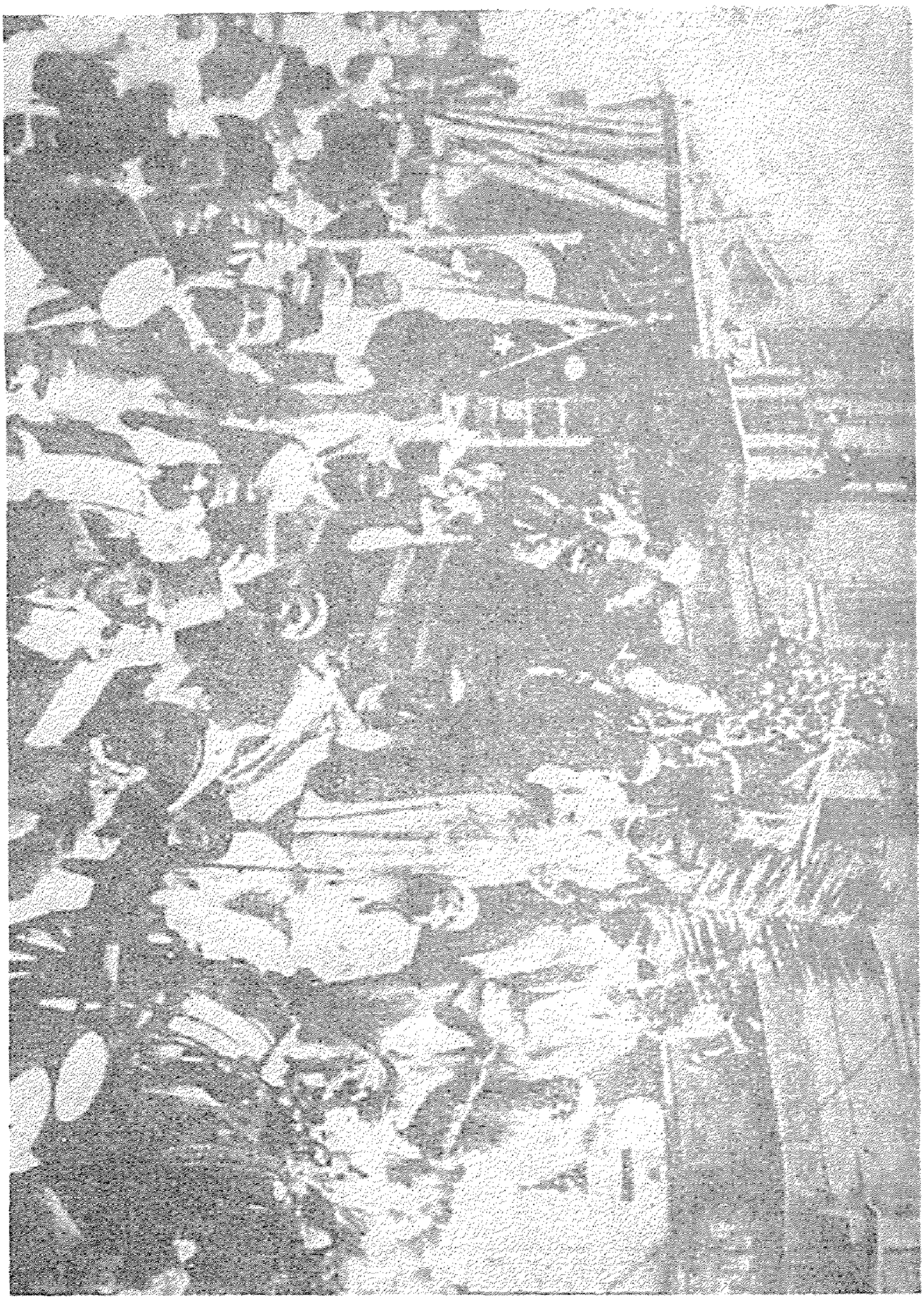
- جنازات نرى فيها عرضاً للأعلام، يحمل إحداها هذه الكلمات "رحمة الله على الأبرياء".



ـ مظاهرة ترى فيها عرضا لكل أعلام الحلفاء.



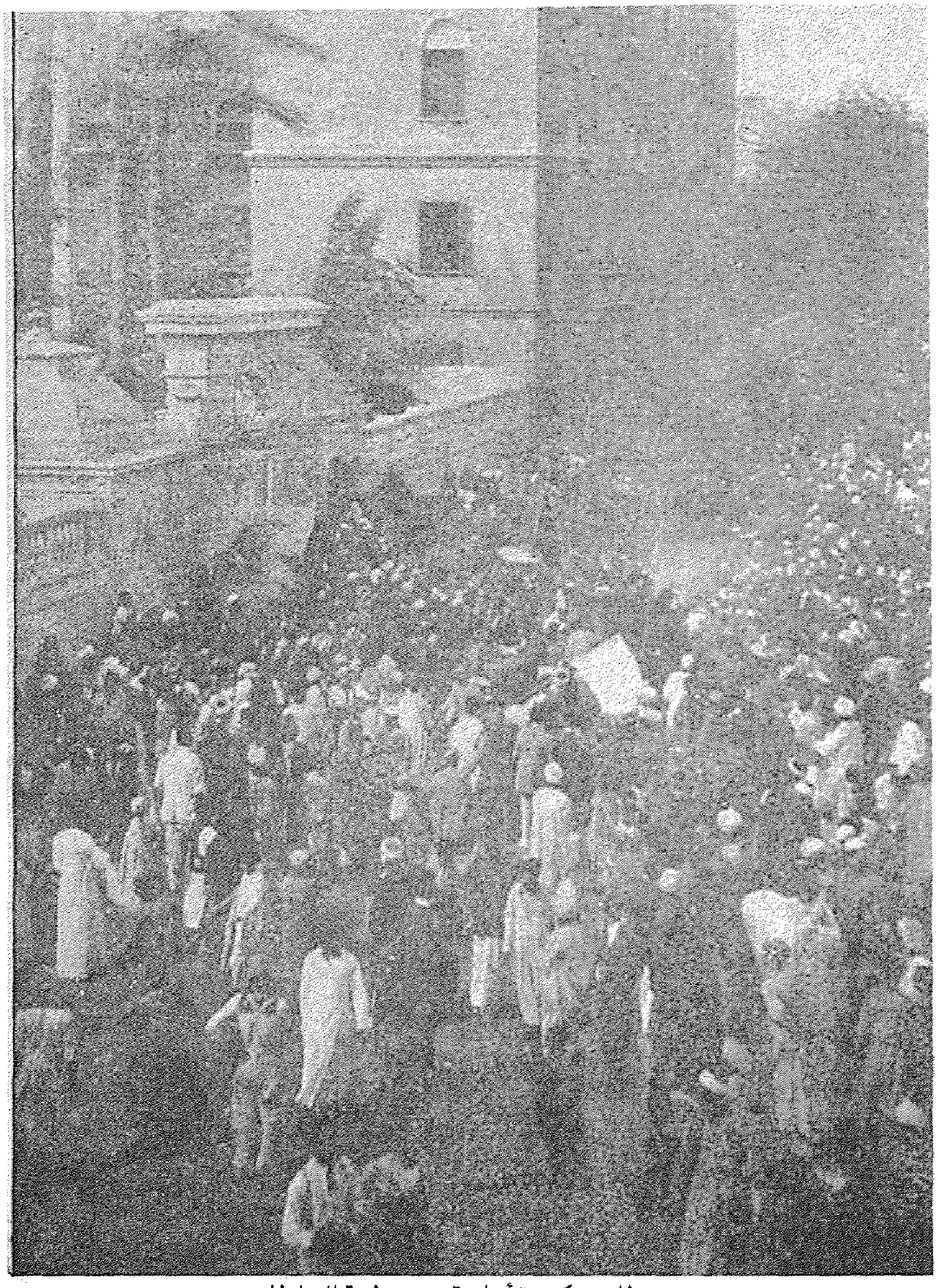
– نساء يقفن على عربة يجرها حمار، يعبرن عن حبهن للوطن وللحرية وهن يلوحن بفروع الأشجار.
(جريدة إليستراسيون، ٣ مايو Illustration).



– مظاهرة فرح.



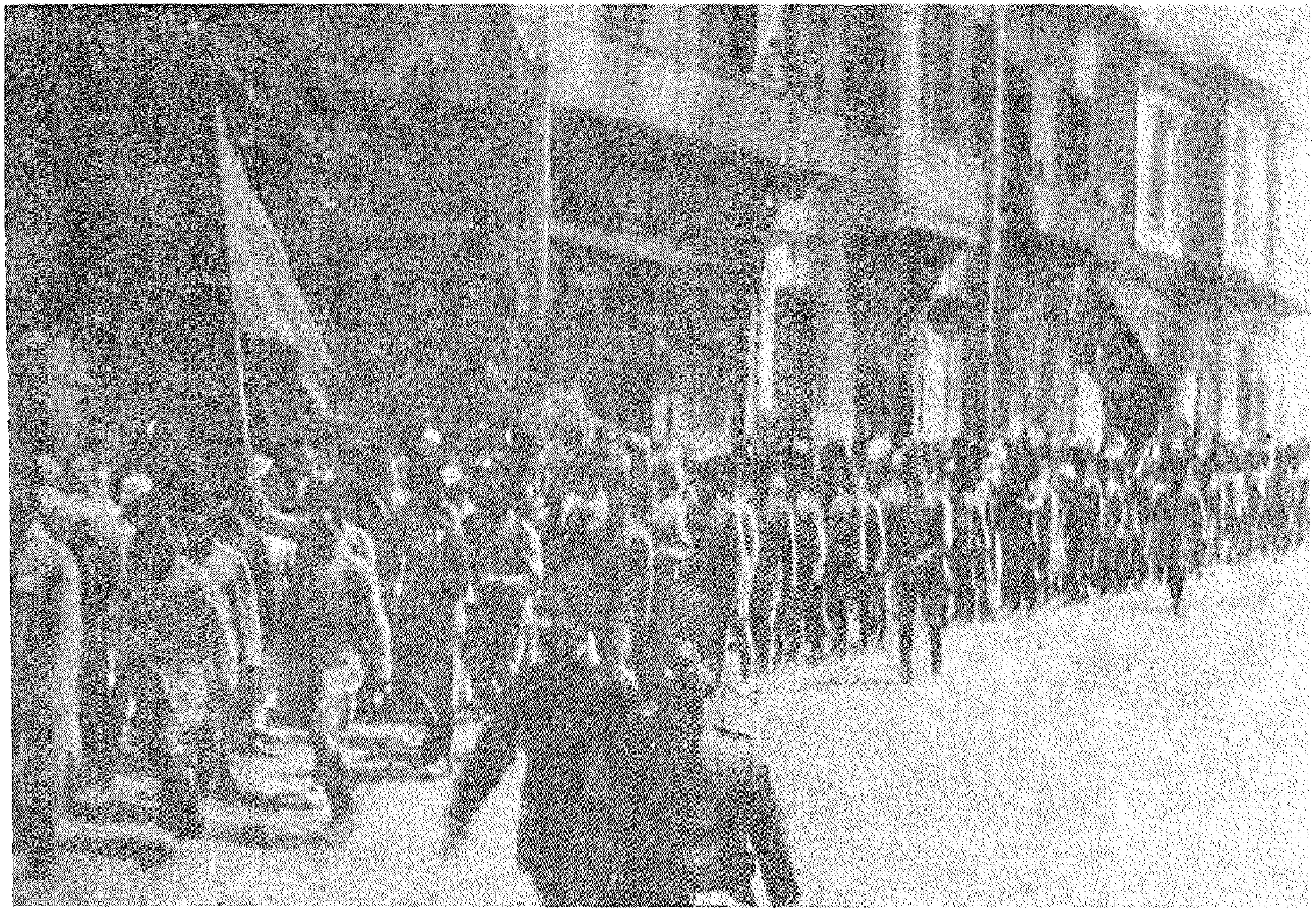
– المتظاهرون يلوحون بأعلام الأمم الحليفة. علم إيطالى
(جريدة إليستراسيون، ٣ مايو Illustration).



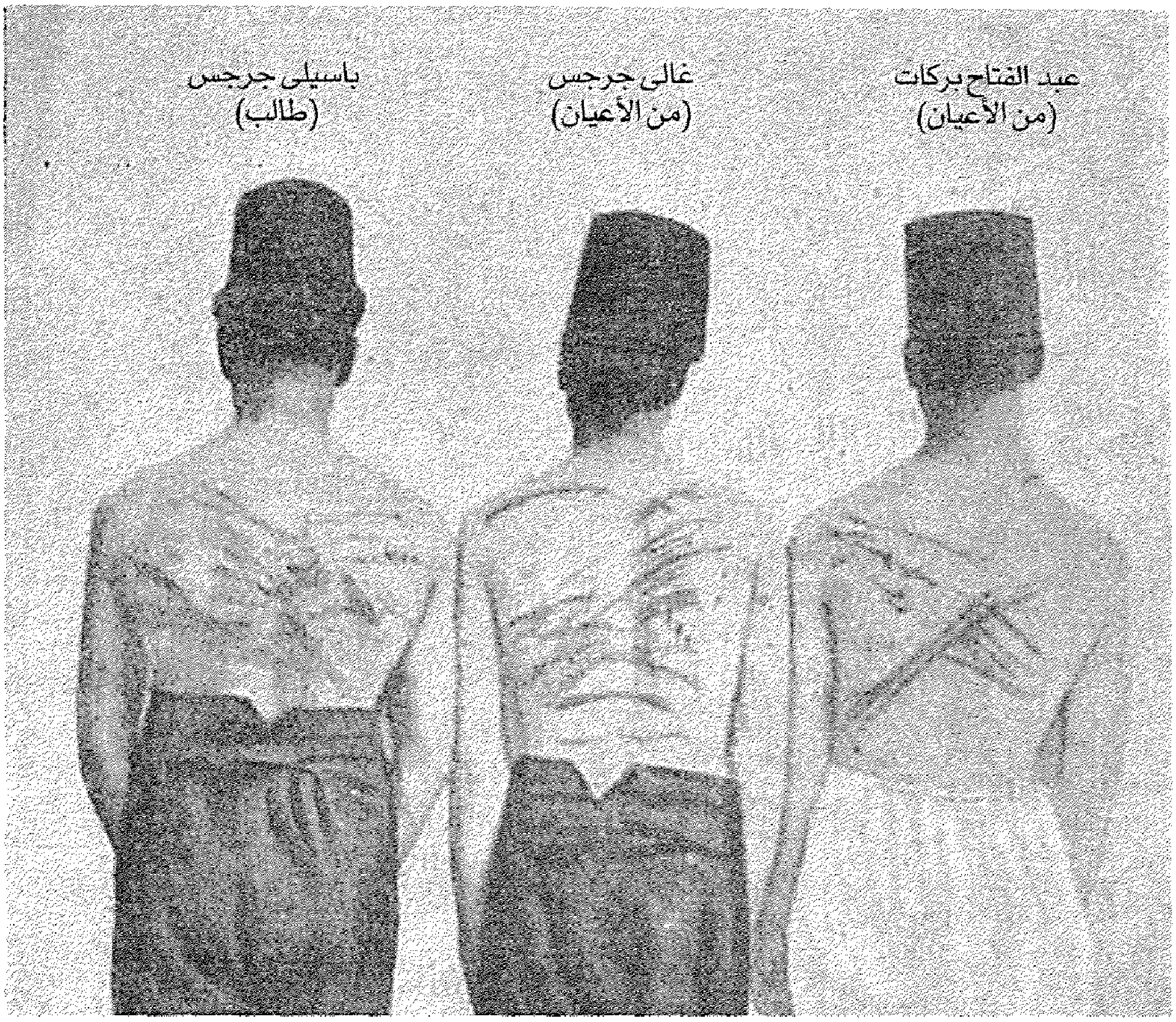
- مظاهرة كبيرة أمام قصر عظمة السلطان.



- طفلة فى الثانية عشرة مصابة إصابة قاتلة.



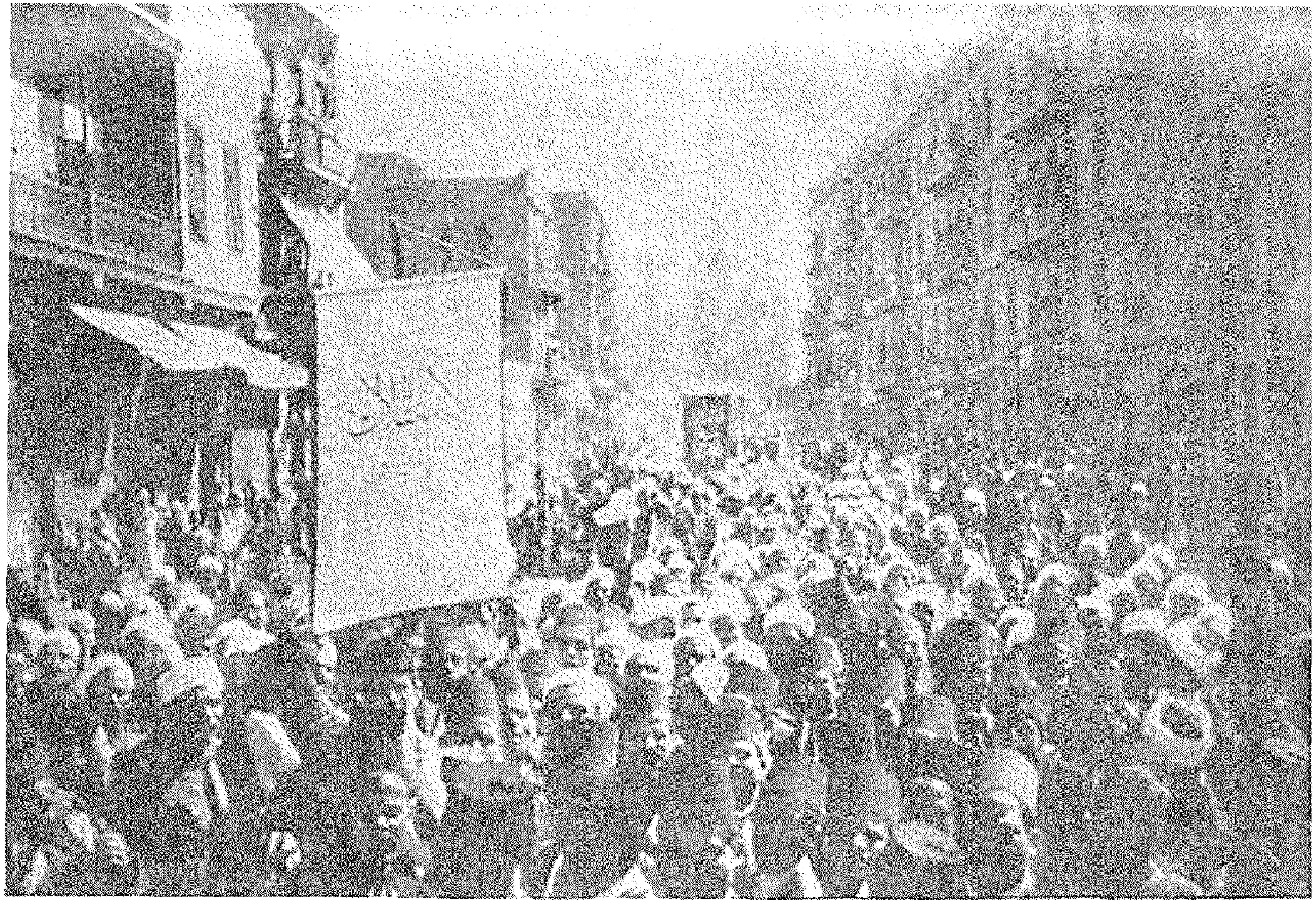
– الكتيبة الثالثة لسلاح المشاة المصرى تغادر المعسكر للالتحاق بالمتظاهرين بهتاف " تحيا الحرية ! ".



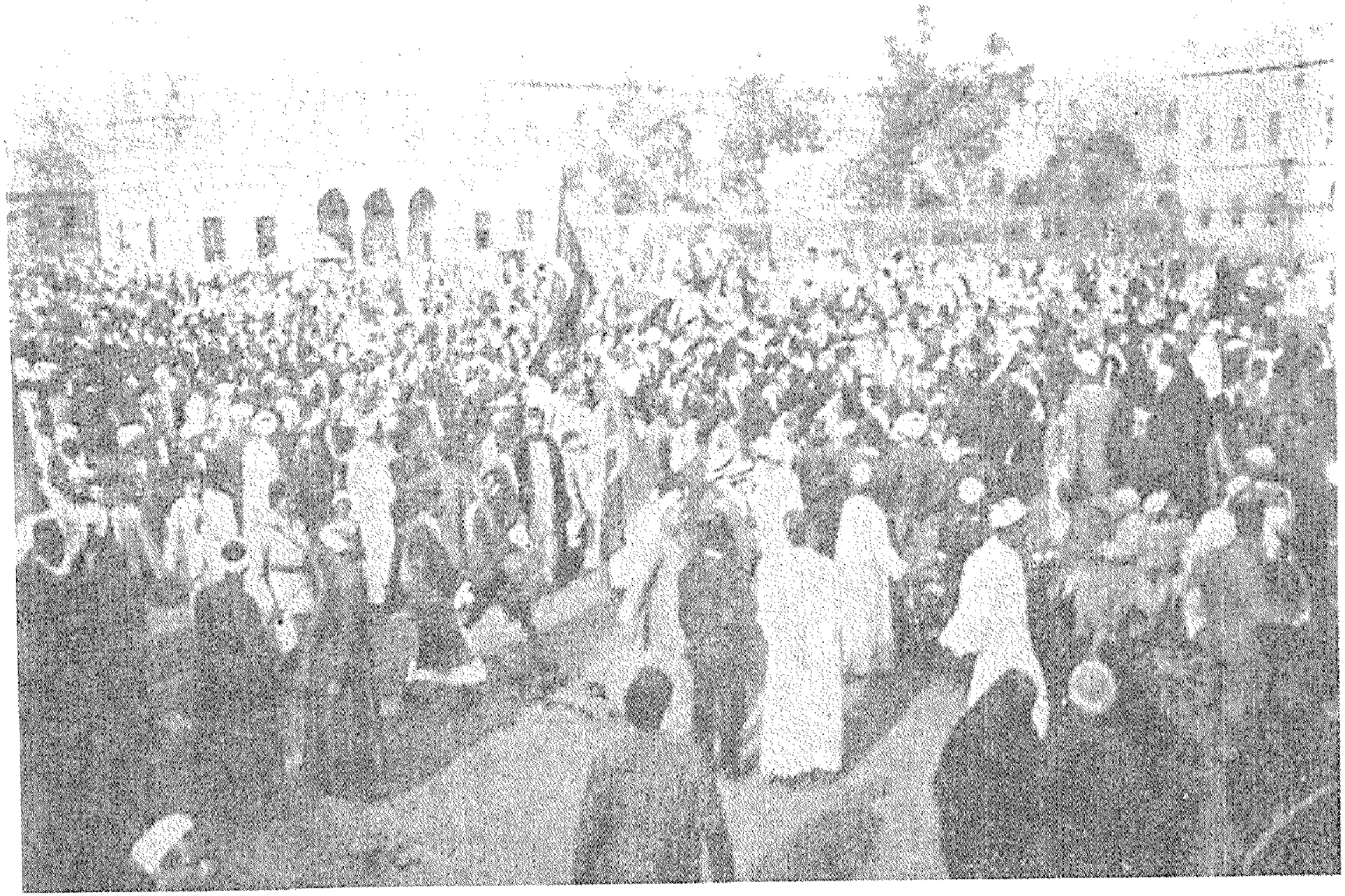
منظر لآثار الجلد.



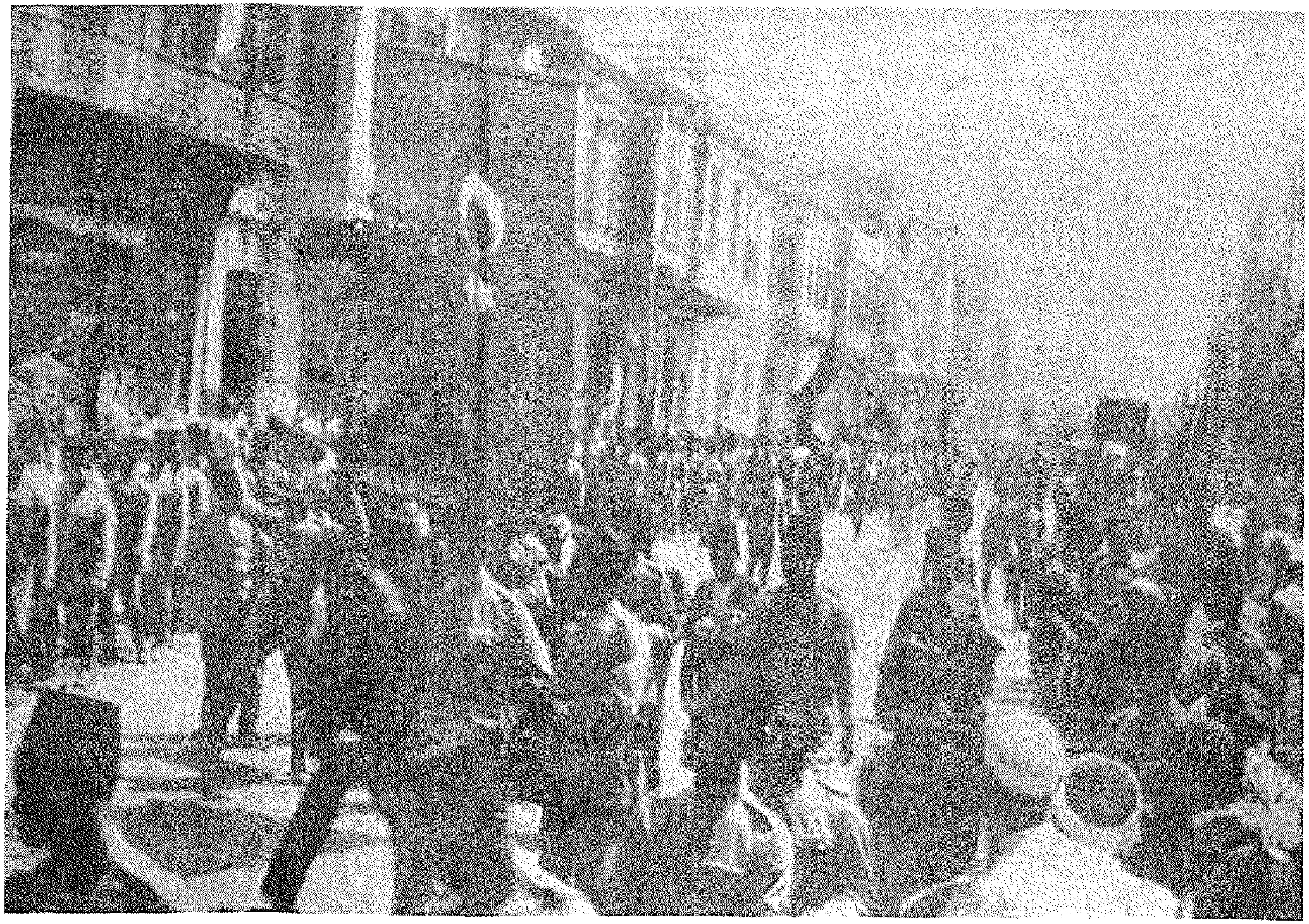
– قتيلة.



- أهالى القاهرة يتظاهرون فى شوارع المدينة الرئيسية
بعلم يحمل كلمة " الاستقلال ".



- قضاة ومحامون يتظاهرون بملابسهم الرسمية أمام قصر السلطان.



- الجيش المصرى وضباطه يتظاهرون فى الشوارع وهم يحملون علمًا عليه شعارات: "مصر للمصريين" "يحيا الاستقلال"



– طلبة جامعة الأزهر يلوحون فى مظاهراتهم بعلم كبير يحمل شعار : "فليحى الاستقلال التام!" إلى جانب العلم صورة مصطفى كامل! الزعيم السابق للحزب الوطنى المصرى.

المؤلف فى سطور

محمد صبرى «السوربونى» (١٨٩٤؟ - ١٩٧٨)

مؤرخ مصرى اهتم بدراسات تاريخ مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين، له عديد من المؤلفات بالفرنسية، وبعض المؤلفات بالعربية، يعد أحد مؤسسى المدرسة القومية المصرية فى الكتابة التاريخية،كما كانت له إسهاماته المهمة فى الدراسات الأدبية، خاصة فى مجال دراسات الشعر العربى القديم والحديث.

حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون سنة (١٩٢٤) ومن هنا لقبه معاصروه بالسوربونى، وشارك فى مساندة الوفد المصرى فى فرنسا أثناء دراسته هناك، وألف كتابه عن الثورة المصرية باللغة الفرنسية، وبعد عودته إلى مصر اشتغل بالتدريس فى مدرسة المعلمين العليا ثم فى الجامعة المصرية فى عامى (١٩٢٥) و (١٩٢٦)، وتنقل بعد ذلك فى عدة وظائف كان آخرها منصب مدير معهد الوثائق والمكتبات التابع للجامعة المصرية فى عام (١٩٥١)، وفصل من الجامعة فى حركة التطهير الأولى سنة (١٩٥٢).

وقد اعتزل العمل العام فى سنواته الأخيرة، وتوفى فى يناير (١٩٧٨).

المترجمان فى سطور:

د/ على محمد إبراهيم كورخان

أستاذ بقسم اللغة الفرنسية وآدابها بجامعة حلوان

حاصل على الدكتوراه فى الأدب الفرنسى من جامعة باريس ٤ السوربون ١٩٩٥.

حصل على دبلوم الدراسات المتعمقة DEA فى اللغويات من جامعة باريس ٤ السوربون ١٩٨٤.

وحصل على ليسانس الآداب من قسم اللغة الفرنسية وآدابها من جامعة عين شمس سنة ١٩٧٦.

له العديد من الدراسات والأبحاث فى مجال الحضارة الفرنسية وعلاقاتها بالشرق العربى والإسلامى إضافة إلى مجموعة كتب حول الحضارة الفرنسية فى عصورها المختلفة.

د/ مجدى عبد الحافظ عبد الله صالح

أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة بجامعة حلوان.

حاصل على الدكتوراه فى العلوم الإنسانية (فلسفة معاصرة) من جامعة باريس ١٠، نانتير بفرنسا سنة ١٩٩١.

حاصل على دبلوم الدراسات العليا للجامعة DESU من جامعة باريس ٨، سان دينى ١٩٨٧.

حصل على دبلوم الدراسات المتعمقة DEA فى الفلسفة المعاصرة من جامعة باريس ٤ ـ السوربون ١٩٨٢.

حصل على دبلوم الجامعة المرحلة الثالثة فى الفلسفة المعاصرة من جامعة باريس ٤ ـ السوربون ١٩٨١.

حصل على ليسانس الآداب فى الفلسفة من جامعة القاهرة ١٩٧٦.

عمل مدرسًا بجامعة باريس ٤ ـ السوربون قبل أن يعمل بجامعة حلوان وهو أستاذ زائر بجامعة إميان بفرنسا.

له العديد من المقالات والبحوث والدراسات والكتب فى مجال الفلسفة الحديثة والمعاصرة والفكر العربى والتاريخ.

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للترجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التـوازن بين المعـارف الإنسـانيـة فى المجـالات العلمـيـة والفنيـة والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١ – اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ – ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ – مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ – مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ – أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ – الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ – تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ – مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ – دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ – رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ – التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	ألن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ١	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩ – الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ – ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢ - السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣ - نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ - صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ - چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ - تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ - العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ - شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١ - الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢ - مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣ - مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ - طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧ - نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨ - الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩ - الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠ - وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتّاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ - محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ - الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥ - مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ - هوية فرنسا (المجلد الأول)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨ - الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ - تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ - مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١ - النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ - السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣ - قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ - أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ - الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : أشرف على دعدور
١٠٧ - صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبــة	ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ – ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩ – حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ – النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ – المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ – الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ – راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ – مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ – غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ – امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ – المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ – النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : ليس النقاش
١١٩ – النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ – الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ – الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ –نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ –الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نينل الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ – الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ – التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	ت : سمحه الخولى
١٢٦ – فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ – إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨ – الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ – الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ – الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١ – مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ – ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٢ – الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ – تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ – المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ – فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ – مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	چوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨ – عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ – پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ – حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١ – اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ – الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ – قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ – صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبد الرؤوف البمبى
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامي الكنوجي	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ – الإيديولوجية	ديڤيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ – من المسرح الإسباني	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
١٦٤ – شامپوليون (حياة من نور)	جان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ – دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ – معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ – العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ – چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت : فتحي العشري
١٨٤ – القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	ت : دسوقي سعيد
١٨٥ – أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ – معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ – الأرضة	بُزُرْج علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ – موت الأدب	الڤين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ – العمى والبصيرة	پول دي مان	ت : سعيد الغانمي
١٩٠ – محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجاني
١٩١ – الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازي السيد
١٩٢ – سياحت نامه إبراهيم بك جـ١	زين العابدين المراغي	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ – عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ – مختارات من النقد الأنجلو-أمريكي	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ – شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ – المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ – الفاروق	شمس العلماء شبلي النعماني	ت : جلال السعيد الحفناوي
١٩٨ – الاتصال الجماهيري	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ – تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية	يعقوب لانداوي	ت : جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ – ضحايا التنمية	جيرمي سيبروك	ت : فخري لبيب
٢٠١ – الجانب الديني للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصاري
٢٠٢ – تاريخ النقد الأدبي الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ – الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالي	ت : جلال السعيد الحفناوي
٢٠٤ – تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدي
٢٠٥ – الجينات والشعوب واللغات	لويجي لوقا كافاللي – سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ – الهيولية تصنع علمًا جديدًا	جيمس جلايك	ت : علي يوسف علي
٢٠٧ – ليل إفريقي	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ – شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ – السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ – مثنويات حكيم سنائي	سنائي الغزنوي	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ – فرديناند دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدي عبد الغني
٢١٢ – قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ – مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد علي الناصري
٢١٤ – قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع	أنتوني جيدنز	ت : محمد محمود محي الدين
٢١٥ – سياحت نامه إبراهيم بك جـ٢	زين العابدين المراغي	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ – جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ – مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوي
٢١٨ – رايولا	خوليو كورتازان	ت : علي إبراهيم علي منوفي

٢١٩ - بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ - الهيولية في الكون	باري باركر	ت : علي يوسف علي
٢٢١ - شعرية كفافي	جريجوري جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ - فرانز كافكا	رونالد جراي	ت : نسيم مجلي
٢٢٣ - العلم في مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نفادي
٢٢٤ - دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ - حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد علي البربري
٢٢٧ - المسرح الإسباني في القرن السابع عشر	موسى ماريديا ديف بوركي	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : ماري تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ - مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمان	ت : أمير إبراهيم العمري
٢٣٠ - عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣١ - الدرافيل	خايمي سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ - مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ - الإسلام في السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ - ديوان شمس تبريزي ج١	جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٣٦ - الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ - مصر أرض الوادي	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ - العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربي مدبولي أحمد
٢٣٩ - العربي في الأدب الإسرائيلي	جيلارافر - رابوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامي حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ - في انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ - سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبري محمد حسن عبد النبي
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ١)	ليفي بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ - الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ - نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق علي منصور
٢٤٦ - قصص مختارة	جابرييل جرثيا ماركث	ت : علي إبراهيم علي منوفي
٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والحداثة في مصر	وولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوي
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ - لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباظة
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهري
٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : علي بدران
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومي
٢٥٤ - الفلسفة	ديف روبنسون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ - أفلاطون	ديف روبنسون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ – ديكارت	نيف رونيسون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ – تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلي رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ – الفجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ – مختارات من الشعر الأرمني	نخبة	ت : فاروجان كازانجيان
٢٦٠ – موسوعة علم الاجتماع ج٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهري
٢٦١ – رحلة في فكر زكي نجيب محمود	زكي نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ – مدينة المعجزات	إدوارد منديثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ – الكشف عن حافة الزمن	چون جريبين	ت : علي يوسف علي
٢٦٤ – إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلي	ت : لويس عوض
٢٦٥ – روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ – مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ – فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودكي
٢٦٨ – ديوان شمس تبريزي ج٢	جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبري محمد حسن
٢٧٠ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبري محمد حسن
٢٧١ – الحضارة الغربية	توماس سي . باترسون	ت : شوقي جلال
٢٧٢ – الأديرة الأثرية في مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ – الاستعمار والثورة في الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوي
٢٧٤ – السيدة بربارا	رومولو جالاجوس	ت : محمود علي مكي
٢٧٥ – ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ – فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمساني
٢٧٧ – الچينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزي
٢٧٨ – البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ – الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ – من الأدب الهندي الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ – الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوي	ت : جلال الحفناوي
٢٨٢ – طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ – السهل يحترق	خوان رولفو	ت : علي البمبي
٢٨٤ – هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ – رحلة الخواجة حسن نظامي	حسن نظامي	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ – سياحت نامه إبراهيم بك ج٣	زين العابدين المراغي	ت : محمود سلامة علاوي
٢٨٧ – الثقافة والعولمة والنظام العالمي	أنتوني كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ – الفن الروائي	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطي
٢٨٩ – ديوان منجوهري الدامغاني	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ – علم اللغة والترجمة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ – المسرح الإسباني في القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ – المسرح الإسباني في القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ – مقدمة للأدب العربى	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ – فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ – سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ – مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسوريانية	ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ – مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت : مصطفى حجازى السيد
٢٩٩ – ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ – أسطورة بروميثيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين
٣٠١ – أسطورة بروميثيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى
٣٠٢ – فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ – بـوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ – ماركس	ريـوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ – الجلد	كروزيو مالابارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ – الحماسة – النقد الكانطى للتاريخ	چان – فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ – الشعور	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ – علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ – الذهن والمخ	انجوس چيلاتى	ت : جمال الجزيرى
٣١٠ – يونج	ناجى هيد	ت : محيى الدين محمد حسن
٣١١ – مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ – روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ – أمثال فلسطينية	خابير بيان	ت : عبد الله الجعيدى
٣١٤ – الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعى
٣١٥ – جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت :كاميليا صبحى
٣١٦ – محاكمة سقراط	أ. ف. ستون	ت : نسيم مجلى
٣١٧ – بلا غد	شير لايموفا – زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ – الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ – صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ – لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ – تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج١)	ليفى برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ – وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	ديليو. إيوجين كلينباور	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ – فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ – اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٢٥ – عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كرستين يوسف
٣٢٦ – المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ – مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق على منصور
٣٢٨ – يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ – رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم

٣٣٠ - كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت : سامى صلاح
٣٣١ - عندما جاء السردين	ستيفن جراى	ت : سامية دياب
٣٣٢ - رحلة شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٣٣ - الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت : بكر عباس
٣٣٤ - لقطات من المستقبل	أرثر س. كلارك	ت : مصطفى فهمى
٣٣٥ - عصر الشك	ناتالى ساروت	ت : فتحى العشرى
٣٣٦ - متون الأهرام	نصوص قديمة	ت : حسن صابر
٣٣٧ - فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٣٨ - نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩ - تاريخ الأدب فى إيران جـ٣	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ - اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت : فخرى لبيب
٣٤١ - قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت : حسن حلمى
٣٤٢ - سلامان وأبسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٤٣ - العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	ت : سمير عبد ربه
٣٤٤ - الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	ت : سمير عبد ربه
٣٤٥ - الركض خلف الزمن	بونه ندائى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦ - سحر مصر	رشاد رشدى	ت : جمال الجزيرى
٣٤٧ - الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت : بكر الحلو
٣٤٨ - المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ١	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٤٩ - دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدرون وآخرين	ت : أحمد عمر شاهين
٣٥٠ - بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت : عطية شحاتة
٣٥١ - مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٥٢ - قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت : نعيم عطية
٣٥٣ - الفن الإسلامى فى الأندلس (هندسية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٤ - الفن الإسلامى فى الأندلس (نباتية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٥ - التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٥٦ - الميراث المر	بول سالم	ت : بدر الرفاعى
٣٥٧ - متون هيرميس	نصوص قديمة	ت : عمر الفاروق عمر
٣٥٨ - أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت : مصطفى حجازى السيد
٣٥٩ - محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت : حبيب الشارونى
٣٦٠ - أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت : ليلى الشربينى
٣٦١ - التصحر : التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	ت : عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢ - تلميذ باينبرج	هاينرش شبورال	ت : سيد أحمد فتح الله
٣٦٣ - حركات التحرر الأفريقى	ريتشارد جيبسون	ت : صبرى محمد حسن
٣٦٤ - حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت : نجلاء أبو عجاج
٣٦٥ - سأم باريس	شارل بودلير	ت : محمد أحمد حمد
٣٦٦ - نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت : مصطفى محمود محمد

٣٦٧ – القلم الجرىء	نخبة	ت : البرّاق عبد الهادى رضا
٣٦٨ – المصطلح السردى	جيرالد برنس	ت : عابد خزندار
٣٦٩ – المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	ت : فوزية العشماوى
٣٧٠ – الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	ت : فاطمة عبد الله محمود
٣٧١ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ٢	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٧٢ – عاش الشباب	وانغ مينغ	ت : وحيد السعيد عبد الحميد
٣٧٣ – كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٧٤ – اليوم السادس	أندريه شديد	ت : حمادة إبراهيم
٣٧٥ – الخلود	ميلان كونديرا	ت : خالد أبو اليزيد
٣٧٦ – الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت : إدوار الخراط
٣٧٧ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٤	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٧٨ – المسافر	محمد إقبال	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٧٩ – ملك فى الحديقة	سنيل باث	ت : جمال عبد الرحمن
٣٨٠ – حديث عن الخسارة	جونتر جراس	ت : شيرين عبد السلام
٣٨١ – أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	ت : رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢ – تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت : أحمد محمد نادى
٣٨٣ – هدية الحجاز	محمد إقبال	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٨٤ – القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	ت : إيزابيل كمال
٣٨٥ – مشترى العشق	محمد على بهزادراد	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٨٦ – دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ت : ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧ – أغنيات وسوناتات	چون دن	ت : بهاء چاهين
٣٨٨ – مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٨٩ – من الأدب الباكستانى المعاصر	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٩٠ – الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	ت : عثمان مصطفى عثمان
٣٩١ – الحافلة الليلكية	مايف بينشى	ت : منى الدروبى
٣٩٢ – مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانخا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٣٩٣ – فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	ت : زينب محمود الخضيرى
٣٩٤ – القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	ت : هاشم أحمد محمد
٣٩٥ – آلام سياوش	إسماعيل فصيح	ت : سليم حمدان
٣٩٦ – السافاك	تقى نجارى راد	ت :محمود سلامة علاوى
٣٩٧ – نيتشه	لورانس جين	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٨ – سارتر	فيليب تودى	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٩ – كامى	ديفيد ميروفتس	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٤٠٠ – مومو	مشيائيل إنده	ت : باهر الجوهرى
٤٠١ – الرياضيات	زيادون ساردر	ت :.ممدوح عبد المنعم
٤٠٢ – هوكنج	ج . ب . ماك ايفوى	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٣ – ربة المطر والملابس تصنع الناس	توبور شتورم	ت : عماد حسن بكر
٤٠٤ – تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ت : ظبية خميس
٤٠٥ – إيزابيل	أندريه جيد	ت : حمادة إبراهيم
٤٠٦ – المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٤٠٧ – الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	أقلام مختلفة	ت : طلعت شاهين
٤٠٨ – معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	ت : عنان الشهاوى

٤٠٩ – انتصار السعادة	برتراند راسل	ت : إلهامى عمارة
٤١٠– خلاصة القرن	كارل بوبر	ت : الزواوى بغورة
٤١١ – همس من الماضى	جينيفر أكرمان	ت : أحمد مستجير
٤١٢ – تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج٢)	ليفى بروفنسال	ت : نخبة
٤١٣ – أغنيات المنفى	ناظم حكمت	ت : محمد البخارى
٤١٤ – الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	ت : أمل الصبان
٤١٥ – صورة كوكب	فريدريش دورنيمات	ت : أحمد كامل عبد الرحيم
٤١٦ – مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	ت : مصطفى بدوى
٤١٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث ج٥	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤١٨ – سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	ت : عبد الرحمن الشيخ
٤١٩ – العصر الذهبى للإسكندرية	جون ماريو	ت : نسيم مجلى
٤٢٠ – مكرو ميجاس	فولتير	ت : الطيب بن رجب
٤٢١ – الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى	روى متحدة	ت : أشرف محمد كيلانى
٤٢٢ – رحلة لاستكشاف أفريقيا جـ١	نخبة	ت : عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٢٣ – إسراءات الرجل الطيف	نخبة	ت : وحيد النقاش
٤٢٤ – لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبد الرحمن الجامى	ت : محمد علاء الدين منصور
٤٢٥ – من طاووس حتى فرح	محمود طلوعى	ت : محمود سلامة علاوى
٤٢٦ – الخفافيش وقصص أخرى من أفغانستان	نخبة	ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧ – بانديراس الطاغية	باى إنكلان	ت : ثريا شلبى
٤٢٨ – الخزانة الخفية	محمد هوتك	ت : محمد أمان صافى
٤٢٩ – هيجل	ليود سبنسر وأندرزجى كروز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٠ – كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣١ – فوكو	كريس هيروكس وزوران جفتيك	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٢ – ماكياڤلى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٣ – جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	ت : حمدى الجابرى
٤٣٤ – الرومانسية	دونكان هيث وجودى بورهام	ت : عصام حجازى
٤٣٥ – توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ت : ناجى رشوان
٤٣٦ – تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٧ – رحالة هندى فى بلاد الشرق	شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٤٣٨ – بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	ت : عايدة سيف الدولة
٤٣٩ – موت المرابى	صدر الدين عينى	ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠ – قواعد اللهجات العربية	كرستن بروستاد	ت : محمد الشرقاوى
٤٤١ – رب الأشياء الصغيرة	أروندهاتى روى	ت : فخرى لبيب
٤٤٢ – حتشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ت : ماهر جويجاتى
٤٤٣ – اللغة العربية	كيس فرستيغ	ت : محمد الشرقاوى
٤٤٤ – أمريكا اللاتينية : الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	ت : صالح علمانى
٤٤٥ – حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	ت : محمد محمد يونس

٤٤٦ – التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	ت : أحمد محمود
٤٤٧ – نظرية الكم	ج. پ. ماك ايفوى	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٤٨ – علم نفس التطور	ديلان ايفانز – أوسكار زاريت	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٤٩ – الحركة النسائية	مجموعة	ت : جمال الجزيرى
٤٥٠ – ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا – ريبيكا رايت	ت : جمال الجزيرى
٤٥١ – الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن / بورن ڤان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢ – لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجناتزى / أوسكار زاريت	ت : محى الدين مزيد
٤٥٣ – القاهرة : إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	ت : حليوم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤ – خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	ت : سوزان خليل
٤٥٥ – تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فردريك كوبلستون	ت : محمود سيد أحمد
٤٥٦ – لا تنسنى	مريم جعفرى	ت : هويدا عزت محمد
٤٥٧ – النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان مولر اوكين	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٨ – الموريسكيون الأندلسيون	خوليو كارو باروخا	ت : جمال عبد الرحمن
٤٥٩ – نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
٤٦٠ – الفاشية والنازية	ستوارت هود – ليتزا جانستز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٦١ – لكان	داريان ليدر – جودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٦٢ – طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبد الرشيد الصادق محمودى	ت : عبد الرشيد الصادق محمودى
٤٦٣ – الدولة المارقة	ويليام بلوم	ت : كمال السيد
٤٦٤ – ديمقراطية القلة	ميكائيل بارنتى	ت : حصة منيف
٤٦٥ – قصص اليهود	لويس جنزبرج	ت : جمال الرفاعى
٤٦٦ – حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	ت : فاطمة محمود
٤٦٧ – التفكير السياسى	ستيفين ديلو	ت : ربيع وهبة
٤٦٨ – روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٤٦٩ – جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	ت : مجدى عبد الرازق
٤٧٠ – الأراضى والجودة البيئية	نخبة	ت : محمد السيد النتة
٤٧١ – رحلة لاستكشاف أفريقيا ج٢	نخبة	ت : عبد الله الرازق إبراهيم
٤٧٢ – دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	ت : سليمان العطار
٤٧٣ – دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	ت : سليمان العطار
٤٧٤ – الأدب والنسوية	بام موريس	ت : سهام عبد السلام
٤٧٥ – صوت مصر : أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	ت : عادل هلال عنانى
٤٧٦ – أرض الحبايب بعيدة : بيرم التونسى	ماريلين بوث	ت : سحر توفيق
٤٧٧ – تاريخ الصين	هيلدا هوخام	ت : أشرف كيلانى
٤٧٨ – الصين والولايات المتحدة	ليو شيه تشنج ولى شى دونج	ت : عبد العزيز حمدى
٤٧٩ – المقهى (مسرحية صينية)	لاوشه	ت : عبد العزيز حمدى
٤٨٠ – تساى ون جى (مسرحية صينية)	كو مو روا	ت : عبد العزيز حمدى
٤٨١ – عباءة النبى	روى متحدة	ت : رضوان السيد
٤٨٢ – موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	ت : فاطمة محمود
٤٨٣ – النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	ت : أحمد الشامى

٤٨٤ – جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	ت : رشيد بنحدو
٤٨٥ – التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٦ – الذاكرة الحضارية	يان أسمن	ت : عبد الحليم عبد الغنى رجب
٤٨٧ – الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبادى	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٨ – الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٩ – هُسِّرل : الفلسفة علمًا دقيقًا	هُسِّرل	ت : محمود رجب
٤٩٠ – أسمار الببغاء	محمد قدرى	ت : عبد الوهاب علوب
٤٩١ – نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	ت : سمير عبد ربه
٤٩٢ – محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	ت : محمد رفعت عواد
٤٩٣ – خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	ت : محمد صالح الضالع
٤٩٤ – كتاب الموتى (الخروج فى النهار)	نصوص مصرية قديمة	ت : شريف الصيفى
٤٩٥ – اللوبى	إدوارد تيفان	ت : حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦ – الحكم والسياسة فى أفريقيا	إكوادو بانولى	ت : مجموعة من المترجمين
٤٩٧ – العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلىّ	ت : مصطفى رياض
٤٩٨ – النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	ت : أحمد على بدوى
٤٩٩ – تقاطعات : والأمة والمجتمع والجنس	نخبة	ت : فيصل بن خضراء
٥٠٠ – فى طفولتى (دراسة فى السيرة الذاتية العربية)	تيتز رووكى	ت : طلعت الشايب
٥٠١ – تاريخ النساء فى الغرب	أرثر جولد هامر	ت : سحر فراج
٥٠٢ – أصوات بديلة	هدى الصدّة	ت : هالة كمال
٥٠٣ – مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة	ت : محمد نور الدين عبد المنعم
٥٠٤ – كتابات أساسية ج١	مارتن هايدجر	ت : إسماعيل المصدق
٥٠٥ – كتابات أساسية ج٢	مارتن هايدجر	ت : إسماعيل المصدق
٥٠٦ – ربما كان قديساً	آن تيلر	ت : عبد الحميد فهمى الجمال
٥٠٧ – سيدة الماضى الجميل	بيتر شيفر	ت : شوقى فهيم
٥٠٨ – المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبد الباقى جلبنارلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٥٠٩ – الفقر والإحسان فى عهد سلاطين المماليك	أدم صبرة	ت : قاسم عبده قاسم
٥١٠ – الأرملة الماكرة	كارلو جولدونى	ت : عبد الرازق عيد
٥١١ – كوكب مرقّع	آن تيلر	ت : عبد الحميد فهمى الجمال
٥١٢ – كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	ت جمال عبد الناصر
٥١٣ – العلم الجسور	تيد أنتون	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤ – مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	ت : مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥ – من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	ت : فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦ – إرادة الإنسان فى شفاء الإدمان	أرنولد واشنطون – ردونا باوندى	ت : صبرى محمد حسن
٥١٧ – نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨ – استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	ت : هاشم أحمد محمد
٥١٩ – محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٥٢٠ – الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	ت : أمل الصبان

٥٢١ – قاموس تراجم مصر الحديثة	أرثر جولد سميث	ت : عبد الوهاب بكر
٥٢٢ – إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	ت : على إبراهيم منوفى
٥٢٣ – الفن الطليطلى الإسلامي والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	ت : على إبراهيم منوفى
٥٢٤ – الملك لير	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٥٢٥ – موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون رزيفز	ت : نادية رفعت
٥٢٦ – علم السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	ت : محيى الدين مزيد
٥٢٧ – كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	ت : جمال الجزيرى
٥٢٨ – تروتسكى والماركسية	طارق على وفلْ إيفانز	ت : جمال الجزيرى
٥٢٩ – بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	ت : حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠ – مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	ت : عمر الفاروق عمر
٥٣١ – ما الذى حَدَثَ فى حَدَث، ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	ت : صفاء فتحى
٥٣٢ – المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	ت : بشير السباعى
٥٣٣ – تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	ت : محمد الشرقاوى
٥٣٤ – الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	ت : حمادة إبراهيم
٥٣٥ – مخزن الأسرار	نظامى الكنجوى	ت : عبد العزيز بقوش
٥٣٦ – الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون	ت : شوقى جلال
٥٣٧ – للحب والحرية	نخبة	ت : عبد الغفار مكاوى
٥٣٨ – النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	ت : محمد الحديدى
٥٣٩ – خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	ت : محسن مصيلحى
٥٤٠ – توجهات بريطانية – شرقية	السير رونالد ستورس	ت : رؤوف عباس
٥٤١ – هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	ت : مروة رزق
٥٤٢ – قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	ت : نعيم عطية
٥٤٣ – السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	ت : وفاء عبد القادر
٥٤٤ – ميلانى كلاين	نخبة	ت : حمدى الجابرى
٥٤٥ – ياله من سباق محموم	فرانسيس كريك	ت : عزت عامر
٥٤٦ – ريموس	ت.ب. وايزمان	ت : توفيق على منصور
٥٤٧ – بارت	فيليب ثودى وآن كورس	ت : جمال الجزيرى
٥٤٨ – علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	ت : حمدى الجابرى
٥٤٩ – علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	ت : جمال الجزيرى
٥٥٠ – شكسبير	نيك جروم وبيرو	ت : حمدى الجابرى
٥٥١ – الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	ت : سمحه الخولى
٥٥٢ – قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	ت : على عبد الرءوف البمبى
٥٥٣ – مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	ت : رجاء ياقوت
٥٥٤ – مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	ت : عبد السميع عمر زين الدين
٥٥٥ – الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	ت : أنور محمد إبراهيم ومحمد نصر الدين الجبالى
٥٥٦ – چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	ت : حمدى الجابرى
٥٥٧ – الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٥٥٨ – الدراسات الثقافية	زيودين ساردار وبورين فان لون	ت : وفاء عبد القادر

٥٥٩ – الماس الزائف	تشا تشاجى	ت : عبد الحى أحمد سالم
٥٦٠ – صلصلة الجرس	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوى
٥٦١ – جناح جبريل	محمد إقبال	ت : جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢ – بلايين وبلايين	كارل ساجان	ت : عزت عامر
٥٦٣ – ورود الخريف	خاثينتو بينابينتى	ت : صبرى محمدى التهامى
٥٦٤ – عُش الغريب	خاثينتو بينابينتى	ت : صبرى محمدى التهامى
٥٦٥ – الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا . ج. جيرنر	ت : أحمد عبد الحميد أحمد
٥٦٦ – تاريخ أوربا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	ت : على السيد على
٥٦٧ – الوطن المغتصب	مايكل رايس	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨ – الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	ت : عبد السلام حيدر
٥٦٨ – موقع الثقافة	هومى . ك . بابا	ت : ثائر ديب
٥٧٠ – دول الخليج الفارسى	سير رويرت هاى	ت : يوسف الشارونى
٥٧١ – تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	ت : السيد عبد الظاهر
٥٧٢ – الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	ت : كمال السيد
٥٧٣ – فرويد	ريتشارد ابيحنانس وأسكار زارتى	ت : جمال الجزيرى
٥٧٤ – مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	ت : علاء الدين عبد العزيز السباعى
٥٧٥ – الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	ت : أحمد محمود
٥٧٦ – فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ت : ناهد العشرى محمد
٥٧٧ – مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	ت : محمد قدرى عمارة
٥٧٨ – الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	ت : محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩ – تشومسكى	جون ماهر وجودى جرونز	ت : محى الدين مزيد
٥٨٠ – دائرة المعارف الدولية	جون فيزر وبول سيترجز	ت : محمد فتحى عبد الهادى
٥٨١ – الحمقى يموتون	ماريو بوزو	ت : سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢ – مرايا الذات	هوشنك كلشيرى	ت : سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣ – الجيران	أحمد محمود	ت : سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤ – سفر	محمود دولت أبادى	ت : سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥ – الأمير احتجاب	هوشنك كلشيرى	ت : سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦ – السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى آرمز	ت : سهام عبد السلام
٥٨٧ – تاريخ تطور الفكر الصينى	نخبة	ت : عبد العزيز حمدى
٥٨٨ – أمنحوتب الثالث	أنييس كابرول	ت : ماهر جويجاتى
٥٨٩ – تمبكت العجيبة	فيلكس ديبواه	ت : عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٥٩٠ – أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	ت : محمود مهدى عبد الله
٥٩١ – الشاعر والمفكر	هوراتيوس	ت : على عبد التواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢ – الثورة المصرية	محمد صبرى السوربونى	ت : مجدى عبد الحافظ وعلى كورخان

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٦٠٥٧ / ٢٠٠٣

المجلس الأعلى للثقافة

هذا الكتاب هو ترجمة الجزء الأول من كتاب الثورة المصرية لصبرى السوربونى الذى كتبه بالفرنسية وما زالت أحداث ثورة (١٩١٩) مشتعلة ولم يخمد أوارها بعد.

كان صبرى شغوفًا بما يحدث فى مصر، وقد درس الثورة الفرنسية على يد أستاذه العلامة أولار Aulard ، وحاول أن يربط بين ما يستقيه من أخبار عن مصر وما احتفظ به من دروس الثورة الفرنسية، كما وجد الولع لدى الفرنسيين بمصر، بحيث أصبح هذا الولع Egyptomania موضة هذا الزمان.

وتكمن أهمية الكتاب، إضافة إلى الصور الفوتوغرافية ، فى هذا الحشد الهائل من المعلومات واليوميات الخاصة بأحداث ثورة (١٩١٩)، وهذا الحس الوطنى العالى الذى صيغ به الكتاب، إضافة إلى إبرازه - لأول مرة فى الغرب - أن الشعب المصرى بطوائفه العرقية والدينية والمهنية قد اختار الاستقلال سبيلاً ليعيش أمة ناهضة مثل كل الأمم الحية فى العالم ، وأنه يملك كل المقومات التى تؤهله للوصول إلى هذا الهدف النبيل.

الغلاف: هشام نوار